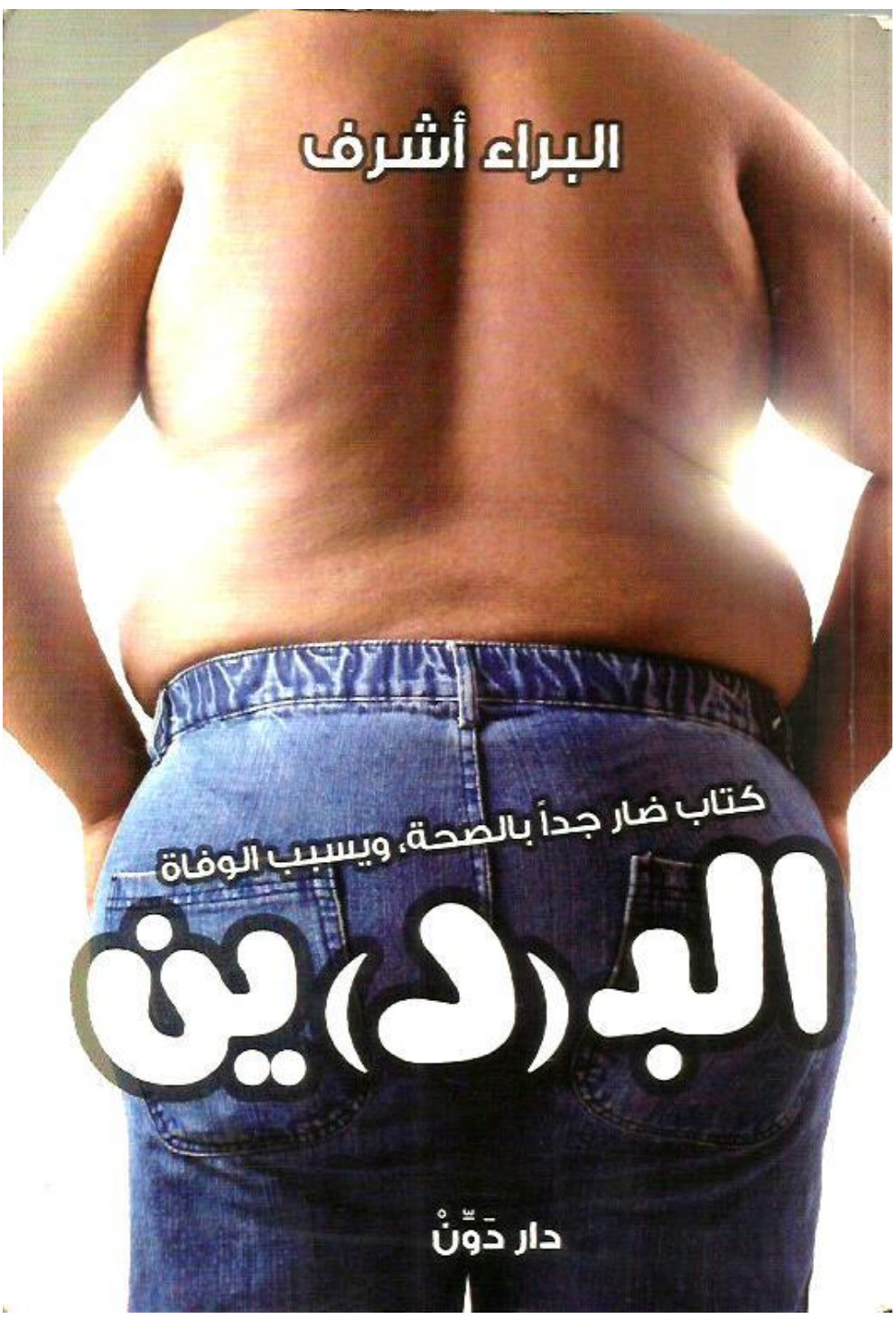
البراء أشرف
كتاب ضار جداً بالصحة، ويسبب الوفاة
البد(د)ين
دار دَوِّنْ

البـدين

الطبعة الأولى يناير ٢٠١١
رقم الإيداع: ٢٠٢٥٣/٢٠١٠
I.S.B.N:978-977-6337-35-0
غلاف: أحمد مراد
تصحيح لغوي: ساره سرحان

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
© دار دَوِّنْ

١ شارع السعادة
نصوح - الزيتون - القاهرة
تليفون: ٠١٤٩٢٨٩٢١٤
فاكس: ٢٤٥٢٥٠٥٤ (٠٢)
E-mail:dawen@daralkotob.com
بالتعاون مع موقع دار الكتب الإلكتروني:
www.daralkotob.com

البـــدين

البـراء أشـرف

دار دوّن للنشر والتوزيع

الأنبياء

البـ(؟)ـين

بخصوص الأقواس :

لهواة الألعاب السخيفة، يمكن استبدال الحرف داخل القوسين بحروف أخرى، تنتمي للأبجدية العربية أو اللاتينية، أو أية أبجديات أخرى، صالحة كانت أو طالحة. فالمعنى، الذي كان في بطن البدين، كان لكلمة يتوسطها حرف آخر، لولا أن ظروف البلاد، وأذواق العباد، والسحابة السوداء، حالت دون نشره كما أراد، فاختار القوسين، ورأى أن قليل من اللعب مع القراء، لن يضير..

"إلى **الأصدقاء**، الذين سيكتب اسمهم - حتمًا - في كتابي **يوم القيامة**".

البـ(د)ـين

کیوں ؟ کیا

مرة، كتبت كتابة سيئة.. فأرسل لي الصديق **"بلال فضل"**، وهو كاتب معروف غني عن التعريف، رسالة نصية تقول: **"مثلما يمنعون اللاعب بقدم مكسورة من اللعب خوفًا على صحته، عليهم أن يمنعوا الكاتب بنَفْسٍ مكسورة من الكتابة خوفًا على موهبته"**

وهذه فرصة لإهداء هذا الكتاب إلى النَّفْسِ المكسورة، التي ما عادت - **حتى** - قادرة على الكتابة.

بـــــراء

١

حكايات البدين

في الصِّيوان الأحمر الكبير، حيث عزاء مزدحم، جلست بينما تملأني الخفة، وكادت أجنحتي أن تخرج من كتفي.. قال صديق – وقد لاحظ أن أزرار قميصي مفتوحة، بحيث ظهر **كرشي الضخم**: "صلاح.. زَرَّر قميصك".

لم ألتفت و**نزلت ضحكة من السماء والتصقت بفمي**، علا صوت ضحكي، كرر الصديق نصيحته مضيفًا جملة اعتراضية قصيرة: "أمسك نفسك يا أخي".. **ضحكت أكثر**.

أتى صديقنا الذي لا أعرفه، وكان على ما يبدو غاضبًا، فهمت فيما بعد أن **الميت والده**، قال: "ما تحترم نفسك يا أفندي".. كنتُ على وشك الانفعال، لولا أنه أضاف: "**أنت جاي تعزِّي ولَّا جاي تهرَّج**".. في مرح الأطفال أجبتُ: "**أنا جاي أهرج**"..

تم طردي وصديقي الأول **خارج الصيوان**، كان يشعر بالأسى، وأنا أيضًا، لولا شعوري بأني قد **أعلنتُ حكمة خالدة لتوي**..

استغفرتُ الله، ونمت في طريق العودة إلى المنزل.

إرشادات القراءة:

- لمحبِّي البدانة: هذا ليس كتابًا للطبخ.
- لكارهي البدانة: هذا ليس كتابًا للتخسيس.
- للبدانة نفسها: جودي بما لديك، دقَّت ساعة الكتابة.
- للذين لا يهتمون بالأمر: الأمر غير مهم فعلًا.. استمروا.

الـ(د)ين

أوك، هذه إذن ملاحظاتي السريعة فيما يتعلق بمسألة جسدي وحجمي وحيِّزي الذي أشغله في الفراغ.. إجمالًا، هذه ملاحظاتي بشأن نفسي..

حيث لاحظت، أن للمؤخرات قياسات مختلفة، واحد اثنين ثلاثة أربعة.. وأن قياس حجم مؤخرتي أمر قد يبدو مرهِقًا، لكنه سريع، مجرد نظرة إجمالية للأمر من الخلف، أو استدارة بطيئة أمام المرآة، ثم أفهم أن قياسي مختلف، أكبر، أكبر كثيرًا.. لا أستطيع أن أحدد الرقم بدقة، يكفي أن أقول إنه ليس ضمن القياسات الطبيعية الدارجة.

ولاحظت، أن بعض الكراسي لا تتسع لي، وراقبت بهدوء نظرات الخوف والترقب، في عيون صبية المقاهي لحظة وصولي، وسحبي لكرسي بلاستيكي ضعيف لونه أخضر، واستعداد جسدي لملء الفراغ بين ذراعيه، ثم بمرور الوقت، أنسى مراقبة النظرات من حولي، ثم أكتشف كونها تزداد خوفًا وترقُّبًا، كوني نسيت – بين ما نسيت – حقائق الفيزياء، وتركت لنفسي حرية التمطُّع على

الكرسي، والرجوع للخلف، في تحدٍّ سافر لقوانين الجاذبية الأرضية، ومعايير العدالة السماوية.

ولاحظت – مؤخَّرًا – ودون أن يخبرني أحد، أني لستُ بارعًا في الجنس، كما أني لا أروق لمعظم النساء، من تلك التي تحب بدينًا؟ من تملك القدرة على تخيلي في فراشها أقوم بأفعال يحتاج معظمها إلى الرشاقة والخفة، والصلابة..

من تلك التي تتخيل جسدها بجوار/ أسفل/ أمام/ خلف/ فوق/ تحت.. كتلتي الهائلة؟

ومن المعلوم عن البدانة بالضرورة، أن الضخامة ليست سمة عامة، فضخامة أحد أعضائك لا يعني أن كافة أعضائك ضخمة بالتبعية، ويمكن ملاحظة أن معظم أبطال الأفلام الإباحية من النحفاء، وأن الزوج العاجز جنسيًّا في كل الأفلام العربية هو بدين بالضرورة.

أما عن حديث البدين الراحل علاء ولي الدين، بخصوص الطريقة التي "يحب" بها زوجته، في إجابة على سؤال الصديقة "يسرا" على سلالم مجمع التحرير.. (وبالطبع فإن كل هذا حدث في فيلم اسمه الإرهاب والكباب)؛ فيمكن القول أنها كانت مجرد أمنيات، فلدى كل بدين أحلام وآمال جنسية لا تنتهي.. وهي حقيقة علمية يمكن

التأكد منها عبر متابعة حديث أصحاب الكروش على المقاهي المصرية.

ولاحظت أن الله يحبني، لأنه بشكل عام يحب البدناء، ويعطف على هؤلاء الذين يشعرهم الآخرون بالدونية، ويشفق على البشر من الآلام، وحين جربت المشي في شوارع طويلة، تحت الشمس، ثم أصابتني الالتهابات والتسلخات، أدركت أن الله بالتأكيد يشفق عليَّ، فلا ألم أشد قسوة من تسلخات نهار مشمس ساخن طويل.
ولاحظت أني طيب، لكني لست ودودًا، لعل السر في طيبتي إدراك عقلي الباطن لمسألة أني بدين، لكن عقلي الذي هو ليس باطنًا، يراني رشيقًا خفيفًا وسيمًا مثاليًا، وبالتالي فإنه يرفض فكرة توزيع الود على الناس كافة دون مناسبة، والحصول على حب البشر دون داعٍ، فاكتفيت بأن أكون ودودًا مع نفسي، وأن أدير للآخرين وجهي الذي لم يعد وسيمًا، وإن كان يشبه وجوه الأطفال الدائرية البيضاء، شأن كافة البدناء.
ووجهي الدائري الأبيض، الطفولي في معظم الأحيان، منحني جزءًا من حب البعض، وأجزاء من كراهية البعض الآخر، فرغم

أني أعلم عن نفسي كوني لست كريهًا، إلا أن كراهيتي ليست صعبة، وصداقتي ليست مطمعًا، وكَمِّي أكبر من كيفي..

لاحظت أن صبري أضيق من صدري، ورغم أن صدري كبير، شأن معظم أعضائي الخارجية، لكن صبري ضيق، محدود، صغير، لا يتسع لكل الترهات، ولا يحتمل أية تجاوزات.

جسدي الذي يحتل مساحة أكبر، يرفض أن يحتل أحدهم مساحة ولو صغيرة داخله، أكره الملامسة، أمقت المداعبة، تزعجني الأكتاف الملتفة حول رقبتي، فالحميمية بالنسبة لبدين مثلي، يمكن أن تكون فقط مجرد كلمات لطيفة ترسل عبر الإيميل أو خدمة الرسائل القصيرة على الهواتف المحمولة، لكن التعبير الجسدي عن المشاعر، فهو أسخف ما أنتجته العقلية البشرية..

لذا، يمتنع البدين عن ركوب الميكروباص، ولديه هواجس، منذ كان طفلًا صغيرًا، يقف أمام مسجد الاستقامة في ميدان الجيزة بانتظار أتوبيس ٣٣ج الذاهب إلى شبرا، وحين وقف بجواره عجوز أخبره بأنه سيتطوع بإرشاده إلى مكان الأتوبيس، فأمسك بيده الصغيرة لفترة قصيرة، ثم بدأ يرشده إلى مكان عضوه التناسلي، الذي كان يمر هو الآخر بمرحلة "استقامة" في ميدان الجيزة.

لاحظت، أن البدين هو البدين، صفات البدناء واحدة، أحلامهم، روائحهم التي يعتبرها البعض كريهة، ألوان عيونهم.. ملابسهم، وأشياء أخرى.. فالبدين عادة، يملأ جسده بالدهن والحزن والأمل، خلطة سرية معروفة.. يأكل، يشرب، يضحك، يسخر، يبكي، يموت..

لاحظت أني حزين، أحب المشي ليلًا في الشوارع الخالية، أستمع للأغاني الفرنسية التي لا أفهمها، أزور قبور الأصدقاء، أحدثهم عن الحياة، وأتمنى لهم وقتًا مسليًا؛ فأنا أخاف الملل. عندي هواجس متراكمة حول الطريقة التي سيعثر أحدهم بها على جثتي ميتًا، أخشى ما بعد الموت، أخاف لحظة جنازتي من أن يحملني الأصدقاء فيخبر كل منهم نفسه بأن صديقه الذي هو داخل الصندوق ثقيل، وأنه كان من الأفضل لو اتخذ لنفسه صديقًا بوزن أخف، ستقتلني هذه الفكرة، رغم أني سأكون بالفعل ميتًا. لا أرغب في أن أصبح ثقيلًا على أحد، حتى ولو استمر ثقلي دقائق في المسافة الفاصلة بين سيارة نقل الموتى، ومثواي الأخير.

لاحظت أنني بـ(د)ين.. مجرد بـ(د)ين..

محبتي صعبة

فما الذي يدفعك لحب بدين، اسمه براء، يرتدي نضارة، ويسرح شعره للخلف؟ لا شيء.. لا شيء على الإطلاق.

على أن هذه في الواقع، أسباب تافهة؛ فمحبتي صعبة، لما هو أعقد من البدانة، وأسوأ من الاسم الصعب، وأقبح من الشعر المسرَّح في خصلات للخلف.

محبتي صعبة، ربما لأنها غير مطلوبة الآن، لا أنكر أني عشت فترة طويلة أبحث عن الحب، حب الآخرين لي، وشعورهم بأني إنسان جيد صالح سيدخل الجنة ذات يوم.

لكن، وبمرور الوقت، اكتشفت سذاجة الفكرة، كما تغيرت نظرتي لمفهوم الجودة والصلاح، وبِتُّ معتقدًا، أن الذين سيدخلون الجنة، تلزمهم شروط أخرى، غير حب الناس لهم.

ثم جاءني صديق، فأخبرني أن البكاء على الحب سلوك نسائي جدًّا، وتصادف قوله مع فترة، كانت تؤرقني فيها التصرفات والسلوكيات التي توصف بأنها نسائية؛ فامتنعت عن تمنِّي حب الناس، وتفرغت لحب نفسي.

ثم اكتشفت أني لا أحتاج لحبي، وأن الأفضل أن أوفر طاقتي، وأحاول فقط أن أفهمني. وبصراحة، فإن التجربة كانت تستحق

العناء، فحين فهمت، وتفهَّمت، وجدت أني آخر شخص من الممكن أن يحبني، وأني بالفعل... محبتي صعبة.

صورة بعد الثلاثين

إذن، يمكن أن تعبر هذه الصورة عما أتخيله لنفسي بعد الثلاثين.
مفرط في البدانة، أسير بمساعدة عكاز رفيع، يكاد يفقد القدرة على صلب طوله نتيجة الضغط عليه..
أعيش في مدينة أوربية باردة.. وحيدًا، متعتي الأساسية تتلخص في شراء الوجبات السريعة وقضاء نصف النهار بين طرقات الهايبر ماركت.
أشعر بالبرد، أفقد القدرة على الاهتمام بملابسي، وألجأ لترزي متخصص في ملابس البدناء.. أفقد الاهتمام بالآخرين، الذين سيفقدون هم – بمرور الوقت – اهتمامهم بي.
لا أملك تليفونًا، ولا لاب توب، تنعدم علاقتي بالأشياء التي شكَّلت – لفترة طويلة – علاقاتي الأساسية بالعالم.
أبحث عن أصدقاء جدد، في الكنائس المهجورة، ومساجد الجالية الإسلامية، والمراكز الثقافية، والمسارح، والسينمات المتخصصة في عرض الأفلام الكلاسكية.
أبحث عن أشخاص مثلي، قضوا العقود الأولى من حياتهم يفعلون أشياء مميزة – أو هكذا قيل لهم – حتى إذا ما انتهى التميز،

جلسوا قليلًا، ونظروا إلى ما فعلوا، فأدركوا أنه لم يكن ما تمنوه تمامًا، فقرروا الرحيل.

نقرر الجلوس لسماع الموسيقى، سأصبح وقتها قادرًا على امتلاك حِسٍّ موسيقي خاص، سأصبح متذوّقًا للفنون، للجمال، سأضيع ساعة كاملة من نهار السبت أمام لوحة فنان تشكيلي لا يزال يضع فيها اللمسات الأخيرة فيما يجلس وحيدًا على الرصيف بانتظار حسنة.. لن أعطيه شيئًا، فقد أصبحت قادرًا على فهم أن الفن لا يصنع لأجل مقابل من الآخرين، وأن المجتمع يساعد الفنان حين يحتقر أعماله بقوة، فيصنع هذا الفنان أعمالًا خالدة، يعرفها الناس فور رحيله.

سأتحدث مع أصدقائي بعدة لغات، سأتحدث عن القضايا الكبرى، سأقول وجهة نظر عميقة في نتائج انتخابات الدول الأخرى، وسأتحدث عن الأحوال في مصر، وأقول إنه ربما لا يزال الوقت مبكرًا للتغيير.

سأعرف أصدقاء آخرين عن طريق البريد، أرسل لهم أخباري، ويرسلون لي بطاقات بريدية ملونة، سنتحدث عن الحب، والجنس، والسياسة والدين، والأيام القديمة التي عشناها ولم نستمتع بها.

سأستمتع بكوني غير مزعج لأي أحد، مجرد بدين عربي في مدينة أوربية صغيرة.. لا يشرب الخمر، لا يقود السيارة بسرعة – فهو لا يملك واحدة، لا يملك وجهة نظر تجاه حكومة البلد التي يعيش فيها، ولا حكومة البلد التي أتى منها يومًا.

سأتصل بزوجتي السابقة من كابينة الهاتف بجوار المنزل، سأسمع صوت أبنائي مرة كل أسبوع، في ميعاد ثابت، ولمدة محددة، سأعرف أنهم لا زالوا قادرين عن العيش بدوني لعام آخر، أشكرهم على ذلك، ونتبادل جميعًا الأمنيات الطيبة.
ستخبرني زوجتي السابقة – والتي اختارت ألا تتزوج بعدي – أن الأولاد يرغبون في زيارتي الصيف القادم، أقول إنها فكرة غير جيدة، فالأجواء متقلبة، كما أن المدينة هنا خالية من أي أشياء قادرة على صنع البهجة لأطفال لم يتجاوز أكبرهم العاشرة.
سأجعل عنواني معروفًا لعدد قليل من أصدقاء العشرينات، سيزورني بعضهم حين يمرون على المدينة الأوربية التي أسكنها، ستظهر شفقتهم حيال الوضع الذي اخترته لنفسي، سأضحك، وأدخن السجائر معهم، ثم أودعهم عند الباب بأمنيات طيبة، سيسألون عما إذا كنت أحتاج لأي شيء، سأجيب بأني سمعت

عن بضعة كتب جديدة في القاهرة، وأحتاج إلى نسخ منها، سيخرج أحدهم ورقة، يكتب أسماء الكتب، ويعدني بارسالها.. وسأندهش بشدة بعد ذلك لأن الكتب ستصلني فعلًا.

سأخبر الجميع أنني قررت كتابة رواية، سيساعدني أحدهم ويجعل مدير إحدى المكتبات يحدثني بخصوص نشرها، أقول له إنني لا زلت أحتاج إلى الكثير من الوقت حتى أنتهي من الكتابة، يقول إنه سيعاود الاتصال بي بعد شهر، لكنه لا يفعل.

إذن، يمكن أن تعبر هذه الصورة عن حالي بعد سبع سنوات، إذن.. يمكن أن أصبح سعيدًا الآن، فلا زلت أملك بعض الوقت، كما أن النهاية غير مزعجة على الإطلاق.

ستة أسباب للحنين إلى "روبي"..

عن الفتاة..

التي كلما كشفت عن جزء جديد من جسدها، علم البدين عن ذاته ما لم يكن يعلمه.. عنها، وفيها ومنها.. عليها.. أعلاها وأسفلها.. ذاك فصل من فصول الغزل الصريح، الذي كان مسموحًا، قبل افتتاح قناة "**الناس**"..

للقارئ العادي: يمكن اعتبار السطرين السابقين مجرد "**هرتلة**"..

للسادة الأفاضل مشاهدي قناة "الناس": بعد الصلاة على النبي، يمكن اعتبار السطرين السابقين (والسطور الباقية في هذا الكتاب) مجرد "**هرطقة**"..

مفاتيح القراءة:

"إذ تنام الراقصة/ المغنية على الأرض، (وهي نصف أو ربع عارية)، ثم تحرك ما يمكن تحريكه في جسدها بصورة غير موضوعية أو محايِدة، لأسباب لا تغيب عن بال أي مشاهد. هذا الرقص أكثر وقعًا وتأثيرًا، وهو يدهشنا تمامًا، مما يجعلنا نستسلم

لإغواء الصورة، ونرفع الرايات البيضاء والخضراء والحمراء وكل الألوان الأخرى، إذ كيف يمكن للمشاهد أن يتفكَّر أمام هذه الصور الملونة بالألوان الطبيعية وغير الطبيعية لهذه الحسناء المتحركة الأفقية"..

- **الفيديو كليب والجسد والعولمة - عبد الوهاب المسيري.**

الصورة المعتادة عن "الحنين".. أنه مؤلم.. حزين.. غامق.. على أن حنيني لها تغلفه السعادة.. وتملأه الألوان.

الحنين لها منطقي.. ما الذي يمنع الإنسان من حب المتعة.. يقولون إن الله لا يحاسبنا على حب الخطيئة بعد التوبة عنها.. من يكره الشهوة؟ من يرفض الجمال؟ تبقى الشهوة شهوة، والجمال جمالًا، والرغبة سحرًا، والرقص جموحًا، والجسد جسدًا.. عنده تبدأ الحكاية، وعنده تنتهي.

- لـ"روبي في قلبي حنين، وفي بصري شوق، وفي عقلي انتظار، إليها.. الفتاة العادية غير المعتادة.. أحن.. وأصوغ أسبابي.. علَّها ترضى فتعود..

١- محلية الصنع ..

المرة الأخيرة التي أنتجت فيها مصر "مُزَّة" بالمعنى الحرفي للكلمة – يمكن بشكل سريع وضع تعريف لكلمة مزة عند كاتب هذه السطور بأنها الأنثى التي تظهر على الشاشة وتلعب عدة أدوار، منها الغناء والرقص والتمثيل، مع بعض الملابس الضيقة والألوان المزركشة، وتكون عادة ذات عيون مميزة، وقوام غير منتشر، وشفاه يصعب الحصول على واحدة مثلها.

المرة الأخيرة، كانت في الثمانينيات، واسمها "لوسي"، وهي آخر منتج مصري معروف في هذا المجال، وبالطبع فإن مقارنة سريعة بين "روبي (المُنتج المُزَزي الحديث) و"لوسي"، سيظهر الفارق، وسيجعل للحنين أسبابًا منطقية.

على أن مشهدًا سينمائيًا حديثًا تظهر فيه المقارنة بشكل أوضح وأعمق، خاصة وأن صانعه أحد محترفي فن صناعة المقارنات.. "وحيد حامد".

في فيلم "الوعد" (٢٠٠٩)، تعمل "روبي في مركز تجميل صغير صباحًا، و"أعمال حرة" ليلًا، تحضر "لوسي (سيدة المجتمع) لتخبرها بأن الرجل الكبير يطلبها في مهمة جديدة؛ فتسألها

"روبي "عجوز برضو؟"، فترد "لوسي في استنكار: "وما لهم يا بت العواجيز.. ولا أنتي عايزة اللي يقسمك نُصّين؟"

لنتحدث عن تكوين المشهد قبل أن نحاول تحليل ما قيل داخله.. "لوسي تجلس على كرسي مرتفع، و"روبي على كرسي أقل درجة، أو على الأرض ربما، وتمسك بأقدام "لوسي لإجراء عملية تجميلية ما بها، ويدور الكلام.

ردًّا على سؤال "لوسي ترد "روبي في ثقة وصراحة: "بصراحة آه.. نفسي في حاجة كدة".. تضيف "لوسي "يا بت العواجيز دول هما اللي ماسكين البلد من وِسطها".. ثم تمنحها شهادة حق في وجه جسد فائر.. "إنتي فرسة كسبانة.. لا محتاجة حَفْن ولا ماسك.. كل اللي محتاجاه.. دُش"

في كل معاجم اللغة، عامية وفصحى، لن نجد كلمة أفضل من "فرسة" لنطلقها على "روبي رمز الانطلاق والتمرد والثورة، وحين تنطقها "لوسي"؛ فهذا يعني أن ثمة راية يتم تسليمها، مِن "مُزَّة" العصر الذي مضى، لـ"مُزَّة" هذا الزمان. تلك التي تراهن على الشباب، ولا يشغلها عجائز يمسكون البلد من وسطها.. لا يهمها وسط البلد.. المهم وسطها هي شخصيًّا.

لاحظ أخيرًا الموسيقى المتشابهة بين "روبي و"لوسي"؛ خاصة وأن الاسمين "أسامي دلع"، فـ"روبي هي في الحقيقية "رانيا حسين محمد توفيق"، مواليد ١٩٨١ القاهرة، خريجة كلية الحقوق (بني سويف) في ٢٠٠٤. شاهدها الجمهور للمرة الأولى بأدوار صغيرة هنا وهناك، ثم بدأت الاحتراف على يد "شريف صبري"، ومعه بدأت رحلة طويلة من الكليبات والأغاني.

إذن، "روبي صناعة محلية، مصرية مائة بالمائة، لا أب لبناني، ولا أم إيطالية، بل إن أمها كانت مدرِّسة ألعاب بمدرسة "فتحية بهيج الإعدادية بعابدين"، ويبدو أن صاحب المعلومة رأى أنها من الأهمية بحيث يضعها في صفحتها على "الويكيبديا"؛ ربما لصلة ما بين "روبي و"بهيج".

لأجل الصناعة الوطنية الحرة التي تحاول أن تصمد.. لأجل مصر.. أحنُّ إلى روبي.

٢ – سمراء:

روبي سمراء.. فقط لا غير.

الذين يقدِّرون الجمال سيعلمون معنى أن هناك أيقونة سمراء ترقص وتغني وتمثل، خاصة وأن الأيقونات المنافِسة تبدأ عند "هيفاء" و"إليسا"، وتنتهي عند "مروى" و"بوسي سمير كلهن بِيضٌ.. ملوَّنون.. ببروزات متفرقة هنا وهناك، وقدر من النفخ والهواء وضبط الزوايا.

يمكن أن تتخيل "روبي صغيرة تبحث عن فتى يحبها في دراستها الإعدادية، ويمكن أن تشعر بدموع غيرتها في الطفولة من فتاة جميلة تجذب فتيان شوارع "المنيرة" حيث نشأت وترعرعت.

"روبي لا تصدق جمالها، تعامله بشك، وتعبِّر عنه بشك أيضًا، والمدهش أن هذا النوع من التعبير يجذب عددًا لا نهائيًّا من المعجبين، وتوجد تجربة شبيهة، تحمل اسم "شيرين عبد الوهاب" التي تنتمي لنفس اللون مع اختلاف في الدرجة، ومع قيود في التعبير عن الجسد. "روبي تعبر عن نفسها بطريقة مصرية خالصة، لكن "شيرين تصر على استخدام الأدوات ذاتها التي فرغت من استخدامها "مُزَّة" ملونة كـ"إليسا" أو "هيفا".

يمكن بسهولة الحصول على أخبار "شيرين عن زياراتها المتكررة لمصفف شعر شهير في لبنان، أو مركز تجميل معروف في وسط بيروت، لكن لا أحد يعلم أين تحافظ "روبي على مظهرها، وأين تنال حظها من العناية ببشرتها، لها طريقتها الخاصة، غير اللبنانية على الأرجح.

أتخيل "روبي تغني في خلوتها: "صحيح أنا أسمر وكل البيض يحبوني.."، ويمكن تخيل هذا بسهولة بعد أن تسمع وتشاهد بعض أغنيات لها تعزز صورة السمراء المتمكنة من التعبير عن نفسها.. شاهد مثلًا "أنا عمري ما استنّيت حد"، أو "غاوي"، أو رائعتها الأولى "كل ما أقوله آه".

لأجل "محمد منير"، وتعاطفًا مع قضية أبناء النوبة، أحن إلى "روبي السمراء.

٣ – تغني وحدها:

هل شاهدتها بصحبة أحدهم من قبل؟

هل أهانتك روبي كمشاهد، ورقصت لموديل أجنبي؟ هل فكرت في استغلال نجومية "مهند" ونامت في أحضانه خلال أحد الكليبات؟ هل غنت "روبي لأحد سواك؟ هل قارنتك بأحد؟ هل سمحت لأحدهم أن يلمس جسدها أمامك؟

لماذا إذن لا تحن إليها مثلي.

"روبي تحترمني، وتحترمك، وتحترم نفسها، تعرف أنها "أيقونة"، فريدة، وتدرك أن ما يؤكد فرادتها، أن تبقى منفردة، تغني وحدها، ترقص وحدها، وحولها يمكن أن يظهر بعض المارة، أو الأشخاص العابرين.

لم يحدث أن استخدمت "روبي أي شخص من أي نوع ليظهر بجوارها في أي كليب، طوال رحلتها تحاول أن تؤكد أنها تغني لنفسها، وأنها تسمح لك شخصيًا بالفرجة عليها، مستغلة كل أحلامك القديمة في التلصص على إحداهن تعبر عن جسدها بحرية وتراقبها أنت دون أن تشعر.

تعرف أن محاولة تمثيل قصة أمامك ستبدو سخيفة وغير حقيقية، وبالتالي فإن ما يمكن ملاحظته أيضًا على منتجاتها الغنائية، غياب أي نوع من أنواع الدراما، لا توجد قصة، ولا مشاهد تمثيلية، لا يوجد أكثر من "روبي"، دون أية إضافات قد تفسد الصورة، وتقلل من قيمتها.

بالطبع فإن هذا التحدي ترفض أن تؤديه واحدة من الملوَّنات اللبنانيات مع كامل احترامنا لهن.. شاهد "إليسا" مثلًا في "أجمل إحساس" مع شخص لم يترك مكانًا في رقبتها دون أن يلمسه، و"هيفاء" في "ابن الحلال" تسير في شارع طويل ممسكة بيد طفل صغير ساحبة إياه إلى المجهول.

لكن "روبي تكتفي بالرقص تحت سفح الهرم مع بعض الحِكَم التي يكتبها "شريف صبري" على الشاشة في "مشيت ورا إحساسي"، أو الالتواء داخل حوض بخار بصحبة ثعبان وتدندن "ابقى قابلني

هذه الوحدة، يمكن أن تكون في ذاتها رسالة.. مثلًا في كليبها الأخير "يا الرموش"، تتوقع أن تجد فتاة ما بجوار "روبي"، فالكلمات كلها تتحدث عن بنت جميلة برموش قوية وخدود وردية. بالإضافة إلى أنه الكليب الأول لـ"روبي الذي لا يحمل توقيع "شريف صبري"، بل "أحمد المهدي" هذه المرة. لكن غياب الفتاة،

يجعل عقلك يستجيب لفكرة أن "روبي تصف نفسها، مستخدمة صيغة مختلفة في التعبير، وهو – إن سمحت لي – أسلوب في التعبير ذكي لأبعد الحدود، بل إنه يذكرنا برائعة وصف الذات "عبد الهادي" للمطرب الأسمر "شاندو

ولأن "روبي ليست "شاندو أحن إلى روبي.

٤ – صامتة:

هل قالت "روبي قبل ذلك إنها عاشت طفولة مشردة؟ أو إنها تصنع كليبات "للكبار فقط"؟ هل دافعت عن نفسها ضد إشاعات زواجها من مكتشفها وصانعها ومخرج فيلمها وكليباتها وموزع أغانيها ومنتجها "شريف صبري"؟ لم يحدث ذلك ولن يحدث.

لأن "روبي تعرف فضيلة الصمت وتلزمه، تدرك أن الثرثرة مفيدة داخل الأغاني فقط، وعليه.. فلا تتوقع أن تجدها في برامج المقالب والاعترافات الساخنة، أو ضيفة حلقة آخر الأسبوع التي لم يجد لها المعد ضيفًا مناسبًا فأحضرها في آخر لحظة.

لا يعرف أحد المبلغ الذي يمكن أن تتقاضاه "روبي" مقابل الظهور في حلقة من برنامج معروف، والسبب أنها لا تظهر أبدًا، لا تحب الصحافة، على الرغم من أن الصحافة تحبها. وهذا درس تعلمته الجميلة من مخرجها "شريف"، وتعلمه شريف من مكتشفه الأول "عمرو دياب"، الذي قرر منذ البداية أن يخاصم البرامج، لولا أنه جاء في النهاية وعوَّض صبره ببرنامج طويل يحكي قصة حياته.. من بدايته لنهايتها!

صمت "روبي"، يجعل الجمهور يفكر في احتمالين، الأول أنها مشغولة للغاية بالفن والإبداع وتسجيل أغنيات جديدة والتحضير لألبوم جبار، وهو أمر جيد بالتأكيد. أو أنها تفعل شيئًا ما لا يستحق أن تتحدث عنه، شيئًا يُستحب أن يتم في صمت، وأيًّا ما كانت درجة خصوبة خيال الجمهور، فإنه سيتخيل في كل الأحوال أشياء مثيرة، وهو أمر جيد أيضًا، ويحسب لصالح النجمة الصامتة.

لأجل الخيال المريض.. أحن إلى روبي.

٥ – تحاول أن تصبح فنانة :

رغم أنها فعلًا "فنانة شاملة"؛ بمعنى أنها تؤدي بالفعل عددًا غير قليل من الفنون، تغني، تمثل، ترقص، (وتؤلف حاليًا فيلم عن قصة حياتها)؛ إلا أنها لا تزال تحاول طوال الوقت أن تصبح فنانة.

فكِّر مثلًا، ما الذي يجبرها على القيام ببطولة ثانية أو ثالثة في فيلم غريب الأطوار مثل "الوعد"؟ لا أعتبره فيلمًا سيئًا على الإطلاق، لكنه بحسابات النجوم قد لا يكون الأفضل الذي يمكن أن تطل منه فنانة بحجم "روبي وإمكانياتها الجسدية.

ما الذي يمكن أن يضيفه "وحيد حامد" وثلاثي "ياسين" (محمود ومحمد وآسر) إلى "روبي إلا الفن؟ لا توجد أغاني راقصة، ولا مشاهد ساخنة بالمعنى الشعبي للكلمة، ولا حوار يمكن اعتباره مثيرًا من وجهة نظر رواد سينمات وسط البلد.

بنفس المنطق الذي دفع بـ"روبي إلى "الوعد"، يمكن أن تبرر اشتراكها بالغناء في نهاية فيلم لن يتكرر(!!) في تاريخ السينما "ليلة البيبي دول"، ورغم أن عددًا من الجمهور دخل الفيلم وهو يتوقع أن تكون "روبي هي من سيرتدي البيبي دول، إلا أنه

وجدها في النهاية تغني من ألحان "ياسر عبد الرحمن"، وتستعرض بعض الطبقات في صوتها، وترتدي ما لا يُلفت النظر، وما لا توجد علاقة بينه وبين البيبي دول.

لا ننسى اشتراكها مع "يوسف شاهين" في "سكوت هنصور ولا يفوتنا الإشارة إلى أن الفيلم الذي حمل في أفيشه صورة كبيرة لـ"لطيفة"، حمل في نسخة الفيديو منه صورة أكبر لـ"روبي التي لم يكن الجمهور قد شاهد كليباتها حين عُرِض الفيلم للمرة الأولى، لكن بعد أن عرفها الجمهور، صار من الممكن مشاهدة أحد أغرب أفلام "شاهين"؛ لأن صورة "روبي تتصدر غلاف شريط الفيديو.

ثم مشاركتها في "فيلم ثقافي"، في دور يهمل كل إمكانيتها الجسدية. زميلة أخو البطل، التي تشاركه من مصروفها في شراء كومبيوتر للعمل عليه، أحد الأصدقاء تخيل أن أخو البطل سيكون في الجزء الثاني من الفيلم اسمه "شريف صبري"، وأنه سيستغل الكومبيوتر ليصنع من زميلته فنانة مصر الشاملة ومزتها الأولى.. "روبي

إنها مجتهدة، يجب أن نعترف، ومنتشرة في مستويات عدة من الفنون، أفلام معقدة لـ"شاهين"، ومغامرات إنتاجية ناجحة للعدل

جروب، ثم تجربة متهورة من "شريف صبري" في أحد الأفلام الأنجلو مصرية.. "سبع ورقات كوتشينة"، وهو فيلم صنعه مخرجه وهو يتخيل إمكانية صناعة فيلم له سبع نهايات مختلفة، تُعرض كل نهاية في دار عرض، فكانت النهاية الوحيدة لمشروعه هو قدر من "سب الدين" حصل عليه من شباب وسط البلد الذين توقعوا مشاهدة أجزاء أخرى من جسد "روبي".

على مستوى الغناء، سيذكر التاريخ اسم "روبي"، فقط يمكن القول أن مشروعها الغنائي له ملامح، وهذا يكفي جدًا في المرحلة الحالية، بالإضافة إلى ذلك، فإنها – وبشكل مستمر – تحاول أن تكتشف في صوتها مساحات جديدة، وبالتوازي تحاول أن تكتشف في الكلمات معان جديدة، كل هذا يمكن أن نتركه لمحبي الموسيقى، لكن تبقى حقيقة أن معظم أغنيات "روبي يمكن أن تُسمع باقية، وهذا مهم.

لأجل شرف المحاولة.. أحن إلى "روبي .

٦- يمكن أن تصبح طائشة:

ستحلق "روبي شعرها كله يومًا، وستدمن الكحول، وسترافق صحفيًّا مغمورًا، وسيراها البعض تسير فجرًا في شوارع شرم الشيخ بملابس نصف عارية.

هذا ما يمكن أن تتوقعه لـ"روبي"، إن كنت مثلي تؤمن بأنها تملك الإمكانيات اللازمة لتصبح فنانة طائشة، وهو أمر لم يحدث بعد في التاريخ الفني المعاصر.

لا نملك في مصر فنانة مثل "بريتني سبيرز أو "باريس هيلتون"، لا نعرف مطربة يصعب السيطرة عليها، أو تقود بسرعة جنونية، أو ترافق عشرات الرجال في عام واحد.

كلهن ملتزمات، يتحدثن عن الفضيلة، ينكرن الشائعات، ويخترن الزواج والاستقرار وتربية الأولاد حين يوجَّه إليهن سؤال يتعلق بالمستقبل.

لكن "روبي لن تخذل محبي الطيش والجموح، وستظل كما عودتنا، مدهشة تملك القدرة على الجموح، وستصرح يومًا بما تؤمن به حقًّا، تترك الصمت، وتبدأ في توزيع اللعنات بألفاظ

تتلاءم مع فتاة تربت في "المنيرة"، ودرست الحقوق؛ بحيث تعرف الفارق بين السب والقذف، وبين الوصف والتعبير.

أتوقع من "روبي بعد سنوات مستوى ناضج من الفضائح وأخبار فقدان السيطرة، وسيتمكن جمهورها من معرفة أسباب اختفائها هذه الأيام، سيعرف الجميع الحكايات، وستكون "روبي هي المصدر، فالفنانة التي تغني "أنت عارف ليه". تعرف جيدًا ما يمكن أن يحققه الطيش لها بين الجمهور المتعطش لمستوى آخر من الفضائح.

٢

باكـــابورت

لفترة غير قصيرة، كان البدين يعتقد في مسألة أن بعض القصص يجب ألا تُحكى.. مرت تلك الفترة، وأصبحت القصص تخرج من تحت الأرض، من هناك، من الصناديق التي كانت مغلقة، حتى قررنا – بإرادة مشتركة حرة لم نحصل عليها في أية ظروف أخرى – أن الحياة مجرد باكابورت كبير، غير مسموح فيه بالتأفف أو التستُّر.

إرشادات القراءة:

- تُمنع قراءة هذا الفصل لزوجات أصدقائي، وأصدقاء زوجتي.
- يُحفظ بعيدًا عن متناول الأطفال، وفي درجة حرارة مرتفعة.
- جميع الأحداث حقيقية، إلى أن يثبت العكس.

اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، وبسم الله أولًا وآخرًا.. ونشوف مع بعض.

عن الطفل الذي تبول في زجاجة الفنيك!

إن تدهورت صحتي الجنسية يومًا، فسيكون الفنيك هو السبب، وإن تحسنت فجأة، فسيكون الفنيك أيضًا، وسأنافس بحبات الفنيك المجفف أقراص الفياجرا عديمة القيمة.

والفنيك.. للذين سيدَّعون عدم معرفتهم به، هو منظف قوي الرائحة، أسود اللون داخل الزجاجة؛ حتى إذا ألقيت بقطرات منه داخل الماء، ابيضَّ لونه وظهرت رائحته، وسيمكن لأقوياء الملاحظة معرفة أنه يستخدم عادة في الحمامات الرخيصة والعامة، أو تلك التي يدخلها عدد أكبر من المفترض.

ولا تحتاج إلى ذكاء إضافي لمعرفة أن الحمام مغسول بالفنيك منذ ساعات، فالرائحة أقوى من أن تتم إزالتها، ولم تشكِّل رائحة الفنيك لي وأنا طفل أية مشكلة، إلا أنني أسمع عن أشخاص ينزعجون منها، كما أن هناك أزواج منعوا دخول زجاجات الفنيك والخمر لبيوتهم؛ باعتبار الاثنين من المحرَّمات.

ولا أعلم تحديدًا إن كان الفنيك يستخدم لتنظيف الحمام فقط، أم الأرضيات بشكل عام، لكني أذكر جيدًا أني دخلت الحمام يومها فوجدت زجاجة بجوار القاعدة، وبما أني أتبول عادة واقفًا خاصة

في الحمامات العامة – حيث لا يمكن أن تأمن على نفسك عواقب الجلوس مكان أحدهم؛ فقد تمكنت خلال فتحي لـ"سوستة" بنطلوني أن ألمح زجاجة فنيك نصف ممتلئة، وقادني شيطاني إلى خلط البول بالفنيك، ومعرفة ما يمكن أن يحدث.

كل خيالاتي كانت مركزة تجاه ما يمكن أن يحدث للفنيك. (فكرت أن ثمة تفاعل كيميائي سيحدث وستنفجر الزجاجة بعدها بفترة). لم أتخيل أن ثمة مكروه يمكن أن يصيبني؛ فأي احتمال لوقوع ضرر كان سيمنعني بالتأكيد من التضحية والمغامرة بأعز وأغلى ما أملك (وقتها والآن).. عضوي التناسلي الحبيب.

كنت في سنوات الإعدادية الأولى، وكانت فكرة الخروج من الفصل أثناء الدرس خلابة، تجعل طالب فاشل مثلي يدخل الحمام في كل الحصص بلا توقف، ومظهري البدين كان يمنع المدرسين من الاعتراض؛ خشية أن يكون الطالب – الذي هو أنا – يعاني من مرض ما يمكن مع منعه من الذهاب للحمام أن تسوء حالته ويصبح أكثر بدانة.

وقد استخدمت بدانتي – في حالات كثيرة هذه واحدة منها – أسوأ استغلال، يمكن فقط أن تعرف أني كنت أقضي في زيارة الحمام الواحدة عشر دقائق أو يزيد، ما أتاح لي فرصة التفكير بعمق

داخل الغرفة الصغيرة المغسولة بالفنيك، وابتكار بعض الألعاب، منها التبول داخل زجاجة.

سأجيب عن السؤال إذن وأختصر السطور، لا داعي لمزيد من الوصف، ما الذي حدث حال احتكاك طرف عضو تناسلي صغير، مع فوهة زجاجة فنيك نصف ممتلئة؟

لأسباب ما، تكون الأجزاء غير المكشوفة في الجسم أكثر حساسية تجاه الكحوليات، وسأعلم بمرور الوقت وبمزيد من البحث، أن الفنيك ينتمي لهذه الطائفة من السوائل، يساوي زجاجة عطر خمس خمسات التي استخدمها صديق بدين لي للتخلص من آلام التسلخات، فكان أن لزم بيته يومين يقاوم الحرقان والنار بين فخديه.

لكن للحرقان في مقدمة العضو إحساس لا يمكن وصفه ولا ينصح بتجربته، الخبراء فقط، أصحاب تجربة ممارسة الجنس أكثر من مرتين أو ثلاثة بشكل متتالٍ، أو أيام الثانوي حين كانت العادة السرية لعبة لطيفة لقتل الملل، هؤلاء يعرفون شيئًا بسيطًا عما يمكن أن يصيب فوهة العضو، لكن يبقى للفنيك تأثير قاتلًا، يكفي أن تعلم أنك ستعيش أسبوعك التالي في قلق وكوابيس، تتلخص في إمكانية أن يختفي عضوك أو يتلاشي بتأثير المادة الكحولية

السوداء القادرة للتحول للون الأبيض حال اختلاطها بالماء، أو البول في مثل هذه الحالة.

الصورة التي يمكن أن تتخيلها فتتألم، لأني بصراحة أحاول أن أؤلمك؛ فلست من أنصار التألم وحدي فيما أصف لك حالتي، الصورة تشبه وضع قلم بلاستيك في النار، ورؤية البلاستيك الصلب يتحول إلى سائل مع انبعاث رائحة كريهة سريعة الانتشار؛ لعلك مارست لعبة حرق الأقلام خلال مرحلة لعبك خلف المكتب للهروب من المذاكرة أيام الثانوي، على كل حال ضع عضوك مكان القلم، وتخيله يسيح أسفل شمعة بريئة تقف على سطح مكتبك.

رأيت وجهي للمرة الأولى أحمر، لم يكن محمرًا أو يملأه الدم، بل كان أحمر.. لا يوجد وصف مناسب أكثر من ذكر اسم اللون، الدم الساخن انتشر في كل مكان داخل جسدي، وأمسكت عضوي جيدًا للتأكد من أن الدم لا يخرج منه. يمكن أن أعترف بأنها أسوأ لحظات خوفي على الإطلاق، كانت فكرة عودتي للفصل دون عضو، (ثم استكمال الحياة بهذا الشكل)، أسوأ من أن يحتملها خيال طفل مثلي.

عدت للفصل بعد انتهاء الحصة، أو قبل نهايتها بقليل، وبررت للمدرس غيابي بإسهال أو إمساك، وساعد مظهري العام ووجهي المجهد، في إقناعه بأني لست بخير. وأمضيت باقي اليوم بأرجل مفتوحة، أفكر في غبائي وجنوني، وأذكر نفسي بمشهد سابق قريب، حين أردت أن أفهم معنى كلمة "كهرباء" فوضعت أصبعي بين طرفي فيشة المكواة، ووضعت الفيشة في الفتحة، وتركت أقدامي دون حذاء، وفهمت معنى الكلمة مرتين. مرة بالتجربة، ومرة بشرح عملي من أبي خلال علقة تالية.

في العام التالي، وبعد تجاوز أزمة الفنيك بسلام، وبقاء فقط بعض الهواجس، وحين كنت قلقًا من تأخُّر بلوغي، رغم أن أقراني لم يبلغوا بعد، فقد كان مشهد الفنيك حاضرًا، خاصة وأنه مع فصل الجهاز التناسلي في منهج العلوم في السنة الإعدادية الثالثة، شرح لي المدرس مواصفات السائل المنوي، وكونه أبيض لزجًا؛ ولأن التجربة أحد أسس "البحث العلمي فقد لاحظت أن السائل لدي شفاف وكأنه مياه.. ودار حديث طويل بعد حصة علوم بيني وبين المدرس.. هل كلمة أبيض تعني أبيض، أم إنه أبيض شفاف؟ وبررت حيرتي بأن أحد الزملاء حاول تضليلي وتشكيكي في لون

السائل.. لكن المدرس فهم وحده وقتها أنه أمام طفل اختار ممارسة العادة السرية حتى قبل البلوغ.

وبالطبع مع التأكيد على أنه "أبيض" صريح – كما "اللبن"، وأنه لزج، وباعتبار الأوصاف المذكورة لا تظهر في تجاربي، فهذا يعني أمرين.. إما أن بالتجربة شيئًا خاطئًا، أو أن الفنيك يضرب من جديد، وأني أصبحت عاجز جنسيًا بسبب التهور والتبول في زجاجة نصف ممتلئة بسائل أسود أفقد سائلي بياضه الذي هو مهم طبعًا أهمية غير قابلة للنقاش، كل ما كان موجودًا في كتاب العلوم كان مهمًا في هذا العام.

لم يكن احتمال أني لم أبلغ بعد مطروحًا، وظلت صورة الزجاجة في يدي لحظة التبول حاضرة، تطارد أحلامي، وتهدد مستقبلي، إلى أن ابيضَّ السائل وحده، وأضفت إلى معلوماتي ما سيمكن تسميته بعد قليل بال"عادة السرية".

حكمة القصة أنه من المفيد أن تمتنع عن اللعب مع عضوك، وأن تكتفي باللعب به.. هذا والله أعلم.

شانـــل تو ©

مررت اليوم أمام مكتبة "الجهاد الإسلامي

أنت لا تعرفها، هي هناك في قنا، أو لمراعاة القواعد النحوية واللغوية، هي "هنا" في قنا.. فأنا "هناك" الآن..

تعال أنت، واسأل أي طفل صغير عنها، وسيدلك على مكانها بمنتهى البساطة، فهي – للمفارقة – بجوار مبنى مديرية الأمن، وبابها يسبق باب مكتب أمن الدولة..
مررت اليوم هناك.. وتذكرت سعاد.. رغم أني لم أكن بحاجة إلى ذلك.
وسعاد، إن كنت لا تعرفها، هي زميلتي في سنة أولى كلية، والتي قضيتها كلها في قنا متوهِّمًا أنني طالب مواظب على دروسه وتعليمه، وقد كنت كذلك بالفعل، حتى إني قبل نهاية العام بقليل حصلت على جائزة الطالب المثالي من مجلس الكلية، وفي نهاية العام نفسه، رسبت في ثلاث مواد تسببن في بقائي طالبًا بالصف

الأول، إلا أن سعاد نجحت وقتها بامتياز وصعدت للصف الثاني.. وانتهت صداقتنا!

ما العلاقة إذن بين مكتبة الجهاد وسعاد؟

لا علاقة على الإطلاق، فقط كانت المكتبة هي المكان الوحيد الذي تباع فيه المصاحف بـ"قنا"، وقد اشتريت من هناك واحدًا بعد أن طلبت مني سعاد شراء مصحف والبدء في حفظ القرآن معها.

ففي نهاية العام، كان اضحًا أن ثمة تغييرات طرأت على صديقتي، فهي للمرة الأولى أمسكت موبايلًا غير موبايلي، حيث استلمت أخيرًا مكافأة التفوق من إدارة الكلية، وأكملت عليها مائة جنيه لتشتري جهازًا مستعملًا إلا أن حالته كانت لا تزال جيدة.. بحيث يمكنها من إرسال الرسائل واستقبال المكالمات والاستفسار عن الرصيد كل قليل متظاهرة بأنها تجري مكالمة مهمة مع صديقة لها قصدتها في خدمة.

كما أنها أخبرتني على الهاتف الأرضي – فقد كان طبيعيًا أن يكون هناك هاتفًا أرضيًا بمنزلها – ما لم يكن طبيعيًا هو أن يكون هناك هاتف في شقة الطلبة التي سكنت بها في قنا طوال عامي الأول، والحقيقة أنه لم يكن هناك هاتف، فقد استعنت بأحد

أصدقائي الموهوبين، بحيث استطاع سرقة خط الشقة المجاورة، والتي كان سكانها مسافرين في زيارة دائمة للقاهرة..

أخبرتني سعاد على ذلك الهاتف، أن أبوها تمكن أخيرًا من قبض الجمعية التي دخلها مع زملائه في شركة المهندس للتأمين، وستذهب معه مساء الجمعة لشراء "دِش" كامل، بطبق صغير نسبيًّا، كما أنه – أبوها – أحضر مساء الخميس كهربائيًّا متخصصًا، أعاد تشغيل التليفزيون القديم مع تركيب ريموت كونترول جديد له، وقد توقف الريموت عن العمل مساء الأحد التالي، وذهب والد سعاد للخناق مع الكهربائي، الذي أكتفى برد ١٠ جنيهات من ثمن الريموت، ولعن اليوم الذي دخل فيه بيت أبو سعاد، رغم أنها أخبرتني في مكالمة تالية، أنه كان ينظر لها نظرات لها معنى واضح، مبديًا إعجابه بأناقتها، حيث ارتدت في ذلك اليوم "جيبة" أختها المتزوجة، والتي كانت تكشف عن ساقيها حتى منطقة ما بعد "السِّمَّانة".

شهر كامل أتى بعد ذلك، وأنا أسمع من سعاد حكايات لا تنتهي عن القناة الثانية، والتي تصر على تسميتها "شانل تو رغم إنجليزيتها المكسرة (شأن إنجليزيتنا جميعًا)..

كانت معلوماتي عن القناة الثانية تقتصر على الفيلم الأمريكي الذي تتم إذاعته مساء كل جمعة، وبعض برامج المنوعات التي شاهدت عليها للمرة الأولى أغنية فيلم تيتانيك، التي سحرتني كليًا رغم عجزي عن فهم كلمة واحدة، حيث أني لم أحاول أصلًا.

أخبرتني سعاد بقصص أفلام "شانل تو كلها، "الآخرون"، و"السرعة"، و"اقتل الجرس" و"المهمة المستحيلة" وهي أفلام عرفت بعد ذلك أنها نفسها "The Others" و"Speed" و Kill Bill".. وللأسف ضاعت مني نمرة سعاد لفترة، بحيث لم أستطع أن أخبرها أن "Bill" ليس بجرس، بل هو بني آدم طبيعي مثلي ومثلها، لكنه شرير بعض الشيء.. بحيث يريد الآخرون قتله.. لكن بالتأكيد أن أحدهم أخبرها، فمن الصعب على فتاة مثل سعاد أن تعيش حياتها وهي مقتنعة بأن "Bill" مجرد جرس.

كانت سعاد مصرة على أن صديقي "علي يشبه الممثلة الأمريكية المعروفة "نيكولاس كيدج"، ولأني لا أعرف من ممثلات أمريكا غير جوليا روبرتس وراشيل كوري ومادلين أولبرايت، فقد أخبرني "علي في لحظة صراحة أن نيكولاس راجل ملو هدومه، وبالطبع لم أصدقه، فكيف تكذب سعاد ولديها في البيت "شانل تو"..

ذات مرة، عشت مع سعاد تجربة فريدة، كان ذلك مساء الثلاثاء، وهو ذاته اليوم الذي يسهر فيه والدها في العمل لساعة متأخرة، وهو أيضًا موعد مكالمتنا الليلية الوحيدة في الأسبوع، لكن سعاد كانت مرتبطة وقتها بمشاهدة فيلم مهم على "شانل تو"، لم أعرف اسمه حتى الآن، أعرف فقط أنه "مهم".. وهي عادة علمتها لي سعاد، فلا يوجد فيلم "حلو وفيلم "وحش الفيلم إما "مهم أو أن يكون غير ذلك.

وقد اقترحت على سعاد أن تجمع بين الحسنيين، تشاهد الفيلم، وتحكيه لي في الوقت نفسه، وسأبقى أنا على السماعة أسمع صوت الفيلم من ناحية، وصوت سعاد من ناحية أخرى.. وبذلك تكون هي شاهدت فيلمها، وأكون أنا استمتعت بالمكالمة.

كان عندي أمل بسيط في أن تمر قبلة سريعة أو مشهد رومانسي خلال الفيلم المهم، بحيث أستغل الفرصة وأقترب أكثر من سعاد وأصارحها بحبي لها، الذي هو في الحقيقة لم يكن أكثر من مجرد رغبة في ممارسة الجنس عبر الهاتف بأي شكل ومع أي شخص، بعد أن قرأت عنه في مجلة "الشبكة"، خلال خبر قصير عن اكتشاف شبكة دعارة تقدم خدمة الجنس عبر الهاتف.. وكانت الشبكة تباع وقتها في مدخل محظة القطار، كما إنها كانت أول

شيء أشتريه عند وصولي قنا قادمًا من بيت أبي في القاهرة، وهو بيت لا تدخله سوى مجلة "الوعي الإسلامي و"العربي و"الأزهر الشريف".

لكن الفيلم كان من نوع الأكشن السياسي، وهو نوع اخترعته بنفسي، فالمشاهد التي يتضمنها الفيلم إما قتال عنيف، أو نقاش عنيف، وبالطبع فإن العنف لم يكن بأي حال من الأحوال يصلح كمدخل للجنس الهاتفي، فلا أنا ولا سعاد كنا نفضل الطرق السادية وقتها، (أخبرتني بهذا بعد ذلك، بعد أن اشترت جهاز كومبيوتر ودخلت على النت وشاهدت مواقع إباحية عديدة، وكان أبوها قد فكر في مشروع الكومبيوتر بعد أن شاهد إعلانًا على شانل تو يفيد بأن جدول الأفلام متاح على موقع القناة على الإنترنت)..

مر الشهر الأول لشانل تو، وبدأت أسمع كلمات أخرى باعتبارها أسماء قنوات، منها mbc التي هي في الحقيقة "شانل وان أيضًا طلبت منها مرة أن تسمعني صوت "الجزيرة" فقد كان هذا هو اسم المحطة الوحيد الذي أعرفه، وقد طلبت منها ذلك باهتمام، مؤكدًا أن أبي محافظ لدرجة أنه عندما ركب الدش في بيتنا بمصر (القاهرة) حذف كل القنوات وترك الجزيرة لأنها مهمة

ومفيدة وبتتكلم في السياسة وبتشتم حسني مبارك وعمرو موسى وشعبان عبد الرحيم.

والحقيقة أن أبي كان يرفض مسألة الدش بالكامل، حتى رضخ أخيرًا لرغبة أمي بشرائه، وكانت رغبة أمي تلك هي الشيء المشترك الوحيد الذي يجمعها بسعاد.. رغم أن أمي لا تعرف شيئًا عن شانل تو.. كما أنها تعرف أن "Bill" ليس بجرس.

كانت أمي تريد الدش لمشاهدة "عمرو خالد" على شانل إقرأ.. وكذلك فعلت سعاد، فبعد شهر ونصف، اكتشفنا سويًا اقرأ، وقد كنت معها على الهاتف، وسمعت صوت الشيخ عمرو خالد للمرة الأولى، وبمرور الوقت، بدأنا نسمعه سويًا، أو بمعنى أدق، تسمعه سعاد، وأسرح أنا على الهاتف، مركِّزًا كل فترة، لعله يتحدث عن "آداب ليلة الزفاف" أو "النكاح في الإسلام"؛ فهي مداخل مناسبة لفكرة الجنس الهاتفي التي كانت لا تزال مسيطرة على عقلي.

كما أن خطب الجمعة التي كنت أحضرها في المسجد كانت عادة تتناول مثل هذه الموضوعات، وقد كانت وقتها وسيلة جميلة بالنسبة لشاب مثلي يطلق لخياله العنان، مفكرًا فيما يقوله الشيخ، ومستغربًا أنهم وجدوا مرة بعد الصلاة شابًا يكبرني قليلًا يتأوه وهو يمارس العادة السرية في حمام المسجد.

أنا نفسي فكرت في فعل ما فعله ذلك المراهق، خاصة بعد خطبة حضرتها حكى فيها الشيخ قصة، عن زوج كتب لوحة وعلقها في صالة بيته، مكتوب عليها إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه، محاولًا لفت نظر زوجته إلى أنها غير مهتمة بنظافة البيت، فما كان من الزوجة إلا أن خلعت اللوحة، وعلقتها على سريرهما، في إشارة إلى أن الزوج لا يرضي زوجته على السرير.. وكم كانت فكرة الزوجة المحرومة مثيرة بالنسبة لشاب مثلي..

أما الشيخ عمرو، فهو لا يفعل مثل شيوخ المسجد، ويخذلني في كل حلقة، حتى إني بدأت اسأل سعاد عن إن كانت اقرأ تعرض برامج للشيخ علي الطويل، أو سعيد المستكاوي، وهم من أشهر شيوخ منطقتنا، إلا أنها أجابت بالنفي.

بدأت ألاحظ أن سعاد لا تسميه "الشيخ"، فقد قال هو في إحدى حلقاته إنه لا شيخ ولا مفتي، بل هو داعية، وقالت لي أنهم يكتبون اسمه على الشاشة مسبوقًا بكلمة "الأستاذ".. وبدلًا من أن تناديه بكلمة "أستاذ" أو "داعية" أو "شيخ".. اكتفت باسمه الأول "عمرو لتصبح جملتها على الهاتف معتادة "شششش شششش عمرو بدأ".

الإيشارب القصير الذي كان يغطي نصف شعر سعاد، والتي كانت تقضي نصف يومها في جذبه على شعرها من الوراء إلى الأمام، حيث اعتاد الإيشارب الانسدال وحده للخلف، كاشفًا عن صبغتها الكستنائية التي كانت تثيرني، ذلك الإيشارب اختفى فجأة، وعرفت سعاد طريقها إلى الخمار الطويل، وقابلتني في الجامعة قبل الامتحانات.. وسألتني أن أشتري مصحفين من مكتبة الجهاد، واقترحت أن نحفظ القرآن في الإجازة.

وفي مساء اليوم ذاته، وكان يوم الأربعاء، أول مايو، إجازة عيد العمال، اتصلت سعاد بي، طالبة تخفيض عدد المصاحف من اثنين إلى واحد، حيث وجدت هي مصحفًا جيدًا في المنزل، بحجم مناسب بحيث تستوعبه حقيبة يدها، كما أن به رسومًا عثمانية كثيرة، لذا "اشتري أنت مصحفًا عشانك، وهبقى آخد منك الخمسة جنيه بتاعتي اللي كنت هتجيب بيها مصحفي أول يوم امتحانات.. ششش ششش عمرو بدأ"..

بشكل ما انقطعت علاقتي بسعاد..

لكن.. كيف وصل الحال بنا إلى الوضع الحالي، وكيف أخبرتني أنها لا تفضل السادية في الجنس، وإن كانت لا تمانع في تجربتها مرتين ثلاثة.. أنا أخبرك.. إن لم تكن علمت من سعاد..

لمشاهدة كأس العالم، طلب أخوها من أبيها تركيب طبق أكبر يسمح بالتقاط إشارات الـ"هوت بيرد"، أو الطائر الساخن، وقد حدث، وتزامن مع إجازة طويلة لـ"عمرو من شانل اقرأ..

وعلى الطائر الساخن شاهدت سعاد قناة "الجنس في المنزل"، وحلقات "الجنس والمدينة"، واتصلت بي في القاهرة، لنبدأ رحلة طويلة من الكلام على التليفون باستخدام كروت "مفتاح الزيرو"، والتي تكفي بالكاد لنا بممارسة مرتين ثلاثة من الجنس الهاتفي الممتع، إحداها على الأقل تنتمي للنوع السادي المؤلم، وهو نوع أصبحت أفضله أنا وسعاد، بعد أن طلبت من أبي مشاهدة كأس العالم على التليفزيون، رغم أني.. "مليش في الكورة"..

ورغم أني امتنعت وقتها عن شراء "الشبكة"؛ فقد عرفت الطريق إلى موقعها "المجاني على الإنترنت ومواقع أخرى عديدة، ورغم أني زرت قنا بعدها مرات عديدة، وفي كل مرة كانت الفرصة متاحة لتحويل ما يجري على الهاتف بيني وبين سعاد إلى واقع ملموس ومحسوس، رغم ذلك، بقيت علاقتي مع سعاد مقتصرة

على الهاتف، سواء على الخط الأرضي و"مفتاح الزيرو"، أو حتى دقيقتين ثلاثة على الموبايل، فقد كنا نفهم الغرض من المكالمة من توقيتها ومن اللحظة الأولى لفتح الخط..

اليوم، وأثناء مروري أمام "مكتبة الجهاد الإسلامي"، تذكرت سعاد.. رغم أني لم أكن في حاجة إلى فعل ذلك، فقد غادرتُ منزلها منذ لحظات، حيث رقصت ومرحت وضحكت.. فالليلة فرح سعاد، على جارها، والذي يعمل والده كهربائيًّا، كان قد أصلح لأبوها التليفزيون منذ سنوات، مبديًا إعجابه بشياكة بنته.. التي هي سعاد.

قبلات مسجونة

إذن، فأبويا مسجون في سجن المرج منذ شهرين وأكثر، بقرار من وزير داخليتنا باعتقاله و١٥٠ شخص قرروا التظاهر يوم جمعة لفتح معبر رفح.. وقد انتهت الحرب، ولا يزال أبي معتقلًا.

أزوره كل خميس، وأجد نفسي مجبرًا على مراقبة ما يحدث في الساعتين – مدة الزيارة – داخل القاعة الواسعة، التي تجمع المساجين والزائرين، مقسمة إلى قسمين، واحد للجنائي وآخر للسياسي، وهو تقسيم غير مرئي، فالجميع في حقيقة الأمر يجلسون في قاعة واحدة، كل نوع في ركن، تميزهم الألوان، الأزرق للجنائي والأبيض للسياسي، ولشخص مثلي، متفرغ للملاحظة، فإن ثمة أشياء أخرى تفرقهم.

في الخميس السابق للسبت، يوم الفالَنْتَين، أدهشتني الكمية الكبيرة من الورود في يد زوجات المعتقلين السياسين، فلم أكن أعلم أن الإخوان يحتفلون بالعيد الرومانسي، الذي يحمل اسم قديس مسيحي، زوَّج الشباب سرًّا في وقت منعت فيه الدولة الزواج، فأُعدِم، وخلَّده العاشقين بعيد يحمل اسمه.

في اليوم السابق قرأت خبرًا عن حملة لشباب الإخوان في جامعة القاهرة، تزامنًا مع عيد الحب، مفادها أن حب الله ورسوله هو الحب الحقيقي، وكان رد فعلي متناسبًا مع ما قرأت.. وفي المساء ذاته، توقفت قليلًا لشراء بضعة أشياء من سوبر ماركت على ناصية شارعي، فوجدت في الداخل شاشة تليفزيون مثبتة على قناة "الناس" وبها شخص ضخم، يجلس في منتصف الكادر، ويقول: "يا مسكين.. تعرف إنت إيه عن الحب.. تعرف تحب ربنا؟ تعرف تحب الرسول؟.. أنت متعرفش حاجة عن الحب" كان مظهره أقرب من الداعية لمدرب كرة السلة في النوادي المحلية.. سألت البائع في براءة بعد أن لاحظ وقوفي أمام الشاشة دقيقة أودقيقتين: "مين الكابتن ده؟".. فرد باستهجان واضح: "كابتن إيه يا كابتن.. وسكت برهة واستعد لقول شيء جديد.. إلا أني سحبت حاجاتي بسرعة، ورحلت.

لكن في داخل قاعة الزيارة كان الأمر مختلفًا.

رأيت من بعيد شابًّا معتقلًا يخرج لتوه من الباب الفاصل بين العنابر والقاعة، يبدو في حالة جيدة، هو على الأرجح استحمَّ منذ قليل، ويضع عطرًا جميلًا، يبدو متأنِّقًا، رغم أن ثيابه بالكامل بيضاء، تراه فتعرف أنه اهتم لأمر نفسه قبل أن يأتي إلينا.

ألقى بنظرة واسعة على المكان، يبحث عن أهله، حدد موقعهم وبدأ يتجه إليهم، هم أيضًا فعلوا، والتقوا في منتصف الطريق.

أتى إليه هذه المرة، أبوه، وأمه، وزوجته الشابة، وطفل صغير عمره أقل من عام، ينام معظم الوقت.

قبَّل رأس أبيه، واحتضنه بقوة، وكذلك فعل مع أمه، وكنت قد عرفت أنه لن يفعل ذلك مع زوجته، مراعاة للزحام، ولكونه من الإخوان المسلمين، الذين يتحدثون خارج السجن عن حب الله والرسول فقط.. أيضًا وجود الأب والأم يضفي على اللقاء جوًا من الاحترام والرسمية..

لكن، وكأني مراهق يشاهد فيلم "تيتانك" للمرة الأولى، جذب الشاب زوجته تجاهه، بقوة، وكانت قد سلمت رضيعها إلى حماتها قبل ذلك بثانية، وأسكنها بين ذراعيه في حضن، ستحذفه الرقابة إن وجدته في فيلم لتامر حسني ومي عز الدين.

هي مخمَّرة، لها عيون جميلة، وأقصر منه ببضعة سنتيمترات، وتحبه، ويظهر ذلك في عيونها المثبتة تجاهه.. وفي هدوئها بين ذراعيه.

وهو رفيع، طويل، بشرته سمراء، وذقنه محددة ومهذبة، قصيرة للغاية، ستحتاج بعض الوقت لتعرف إن كان يتركها كعنوان التزام

أم ضرورة روشنة.. يعشقها، سيظهر ذلك في أمرين.. القبلة القصيرة التي سيعطيها لها بعد الاحتضان.. ويده التي ستتحرك بعد ذلك مباشرة، تجاه بنطلونه، تشده لأسفل، وكأنها تحاول أن تداري تضخُّم عضوه.

وسينتهي الحضن والقبلة، وسيجلسون.

وسترى، إن كنت معي، في ركن الجنائيين، فتاة في العشرين، تقبِّل هي الأخرى يد أبيها.. وستخبر نفسك بقدر من التخمينات اللاإرادية.

تبدو الفتاة وكأنها غير موجودة، تنظر لساعتها كل دقيقتين، ولا تتحدث على الإطلاق.. كما أنها تثبت نظرها تجاه "طفاية حريق" معلقة على الحائط المقابل، وكأنها ترى فيها أمرًا يستحق الاهتمام عن أبيها الجالس إلى جوارها.

ستفهم أنها قررت في لحظة سابقة أن تلغي هذا الجزء من حياتها، ألا تصنع فروقًا بين زيارة أبيها في السجن، وزيارته في القبر، تغلق هذا الجزء وتضعه ضمن ذكريات الطفولة القديمة.

لهذه الفتاة صديق في الخارج، لا يعرف شيئًا عن أمر أبيها المسجون، وهي تمنعه من زيارة البيت، وستقبل الزواج منه دون علم الأهل.. أما عن القبلات التي وضعتها على يد والدها، فهي

– على أفضل الأحوال – عادة طفولية قديمة، تشبه قراءة الفاتحة أمام القبر.

ستفكر في التخمينات السابقة، وتلوم نفسك، وسترى في الركن السياسي مشهدًا مطابقًا، فتاة أكبر قليلًا تقبل يد والدها، وستضع التخمينات ذاتها، وستتوقف عن لوم خيالك.. وتترك له العنان.

وفي الركن السياسي أيضًا، وفي مكان منزوٍ به، سترى زوجًا وزوجة، أكبر من السابقين، تجاوزا الأربعين بقليل، وأمامهما طفلان، ينظران إليك، وظهرهما للأب والأم، المقتربان قليلًا وثمة حركة أيادي خفية في الأسفل يكاد لا يلمحها أحد.. وإن راقبت أكثر، فسترى قبلات مسروقة بين الفمين، وستعرف أن ممارسة الجنس بعد الأربعين ليست كابوسًا كما كنت تتخيل.

سألت أبي: "كلكم هنا إخوان؟"، فقال: "أيوة، واحد بس سلفي هناك أهو".. ونظرت إليه، يرتدي ترينج أبيض من ماركة يرتديها الجميع اسمها "SKY TOP SPORT"، وتباع في التوحيد والنور بمقاسات متعددة، لكنه يرفع بنطلونه إلى أعلى، ويثني أطرافه عند القدمين، فلا فارق بينه وبين أي سلفي في الطالبية بالهرم.

ويقف أمام زوجته المنقبة، التي ترتدي نقابًا أسود وأسفله يظهر بنطلون جينز، وحذاء رياضيًّا أبيض، وتقف في مواجهته تمامًا،

وبينهما مسافة أقل من المسافة التي سيتركها المخرج بين ممثل وممثلة في فيلم رومانسي أمريكي يعرض للكبار فقط.

اتساع الجلباب الذي ترتديه الزوجة، لا يسمح لأحد بالتفكير في أن الجسدين متلاصقين، لكنهما كذلك، وهناك قبلات كثيرة تؤخذ من ناحية اليسار حيث لا يجلس أحد، كما أن الشفاه تتلامس وبينهما نقاب، وهو أمر جيد.

أدرت نظري، فرأيت الشاب الأول وزوجته، يقفان بجوار البوابة بعيدًا عن الزحام، ويمسك الشاب بشيكولاتة، ويكسرها أجزاء صغيرة، فيمسك بجزء جزء، يضعه في فمه، ويقطم نصفه، ويسكن النصف الثاني في فم الزوجة الشابة.

في الجانب الآخر، السياسي أيضًا، كان شاب وفتاة أصغر في السن، أخبرني أحدهم بأنهما كانا على وشك الزواج، إلا أنهما "كاتبين كتابهم"، كانت الفتاة تريح رأسها إلى كتفه، وكان هو يمسك أطراف كفها، ويعبث بأظافرها الطويلة المهذبة.. وعلى وجه كل منهما، ابتسامة مطمئنة.

في طريق العودة، سألتني زوجتي، خدت بالك؟.. قلت: "طبعًا، وكان أمرًا مثيرًا".. سكت قليلًا، ورأيت أن أصلح المعنى، فقلت إنه

كان جميلًا أن أرى وجهًا آخر لهؤلاء، وإني اسمتعت بتلك الحرية الجماعية التي قرر الجميع ممارستها.. وأضفت أشياء كثيرة.. منها أن ما رأينا ليس أكثر من قبلات حلال مسجونة.. في سجن المرج.

حدث في شارع زغلول

عند شارع زغلول سيحدث المشهد التالي.

الفتاة – ولنطلق عليها "سها" – تنزل إلى الشارع في انتظار وسيلة مواصلاتها المعتادة، "سها" يمكن أن تركب الميكروباص، الأتوبيس الأخضر غير المكيف، الأتوبيس الأبيض المكيف، الأتوبيس الأحمر الجديد غير المكيف، أتوبيس الجمعية، التوك توك. سها يمكن أن تركب أي شيء في أي وقت إلا التاكسي بألوانه المتعددة، التقليدي: الأبيض في أسود، السوبر: الأصفر ومكتوب عليه رقم تليفون، الأبيض المتوسط: أو ما يطلق عليه "روتيتو نظرًا للشبه الكبير بينه وبين أكياس بطاطس تحمل ذات الاسم والشكل، وهو تاكسي تقليدي لكن بموديل حديث وعداد وتكييف يعمل عند الطلب.

و"سها" لا تركب التاكسي لأنها مسألة مبدأ، ومبدأ "سها" كفتاة عاملة أنها يجب أن تستمر في الذهاب للعمل كل يوم طوال الشهر، وركوب التاكسي مرة واحدة يجعل فرصة الذهاب للشغل معدومة في أيام خمسة تالية.

لماذا ركبت "سها" التاكسي؟ للإجابة على هذا التساؤل المنطقي، علينا أن نتعرف على شخص آخر، شاب في منتصف الثلاثين، ولنطلق عليه اسم "سيد".

لا أحد يعرف "سيد"، كما أن لا أحد يعرف "سها". ولا أحد يعرف ما السبب الذي جعل "سيد" متواجدًا في شارع زغلول في ساعة كهذه، وهي إحدى ساعات الصباح ما بعد المبكر. العاشرة، الثانية عشرة، شيء كهذا.

حين ظهرت "سها" في الشارع، لم يكن الحدث عاديًا، والسبب: ملابسها.

تعتقد "سها" في مسائل غريبة، كالـ"حرية"، الـ"ليبرالية"، الـ"خصوصية"، الـ"استقلالية"، وهي بالطبع معتقدات – سواء كانت صحيحة أو خاطئة – تعاني بطئًا في الانتشار في شارع زغلول. أما "سيد" فمعتقداته تقف عند مسألة الـ"لية"، وللأجانب نشرح ونوضح، الكلمة المذكورة هي قطعة الدهن غير المتوقفة عن الاهتزاز الموجودة في مؤخرة الخروف، وسيد يحب الخرفان، هي كائناته المفضلة.

عندما شاهد "سيد" ملابس "سها"، تذكر بيانات بطاقته الشخصية، ذكر، مصري، مسلم، ٣٣ سنة، كلية التجارة جامعة القاهرة، ٩

شارع البطاريق متفرع من شارع زغلول. ثم فكر قليلًا، هل هناك ما يمنع أن يعبر "سيد" عن إعجابه بملابس "سها"؟ مزيد من التفكير، ومزيد من التأمل في بيانات البطاقة، ثم الإجابة الصحيحة: "لا مانع"، والانتقال للمرحلة التالية من المسابقة لكن بعد الفاصل.

كيف يقول؟ كيف يعبر؟ ما ردود الفعل المتوقعة؟ وما الذي يريده أساسًا منها؟ الحب، الجنس، الصداقة، الابتسامة، العلاقة العابرة، التحرش، الإعجاب، الأخوة، المال، الشهرة، الأكل، الشرب، الكلام، الفضفضة.. كلها أسباب منطقية تدفع "سيد" لفعل أي شيء لإثارة انتباه "سها". كلها "حاجات" طبيعية ومفهومة، كما أن أساليب التعبير عنها مقبولة نوعًا، حتى المعاكسة قد لا تجد من يعترض عليها.

لكن، كانت لدى "سيد" حاجة أعقد، حاجة تلزم مزيدًا من الجهد في التعبير، مزيدًا من القوة والشجاعة، حاجة تشبه "سيد"، تطابق بياناته في البطاقة، وتلائم اسم شارع "زغلول".

بهدوء، اختار "سيد" مكانه، منتصف الشارع، على الجزيرة، الرصيف الفاصل بين الاتجاهين، وقف أمامها تمامًا، ثم أخذ لجسدها لقطة متأنّية، من أسفل إلى أعلى، والعكس، قارن بين

ملابسها وملابسه، أخرج قمصيه خارج بنطلونه، ثم جلس القرفصاء.

بهدوء لم تلحظه "سها"، التي كانت تسمع وقتها أغنية على الـ"MP3"، ولنقل أنها كانت "مفيش حاجة تيجي كدة"،... فتح "سيد" سوستة بنطلونه، ثم غطى بطرف قميصه الفتحة، دس يده للداخل، بحث قليلًا، ثم أمسك به، أخرجه، تأكد من أن نظره مركز على "سها"، لم يشغل باله للحظة إن كانت تراه أو يراه أحدهم، بدأ يحرك يديه، مرة، اثنين، ثلاثة، أربعة.. أصبح التحريك منتظمًا... "سيد" يمارس العادة السرية أمام جسد "سها" في شارع "زغلول".

بعد مرور أقل من دقيقة، كان "سيد" في حاجة لدقيقة أخرى، الوضع صعب، وهو غير معتاد على ممارسة عادته في منتصف الطريق، ستأخذ العملية وقتها، وفي التأني السلامة.. الحركة تزداد انتظامًا، و"سها" تلمح بطرف عينها ما يحدث دون أن تفهمه، لكن بمرور اللحظات تفهم، وتفكر في رد فعل مناسب، فتقرر ترك مكانها والتمشية للأمام عدة خطوات.

في البدء كانت التمشية مثيرة أكثر لـ"سيد"، وتساعده على إنجاز مهمته بنجاح، لكن ابتعادها جعل العملية تفقد معناها، وقف دون أن يدخل عضوه داخل بنطلونه، ثم تحرك بمحاذاتها على ذات

الرصيف، حتى وصل لمكان وقوفها الجديد، وجلس جلسته السابقة، وأكمل ما كان يفعل.

أدركت "سها" قوة خصمها، الدماء تصعد بقوة إلى رأسها، ويده تصعد بسرعة وتهبط، هي أيضًا شبكت كفيها، وبدأت في فركهما، تفرك، تفرك، تفرك.

أما "سيد"، فشعر أنه يقبض على الدنيا براحة يديه، أحكم قبضته، وراقب يديها تفرك، وتخيل شيئه بين يديها، دون أن يغمض عيونه، تفرك "سها"، يعض على شفتيه، تفرك، يعض، تفرك، يعض، تفرك، يعض.

كانت في الواقع تبحث عن تاكسي، دقيقة أخرى تمر، تزداد سخونة الفرك، وتهرب بعيونها في اتجاه آخر، الهروب يزيد من جمال تجربة "سيد"، الذي اعتبره حياء فتاة عذراء اختار عريسها أن تقام ليلة الدخلة في الشارع، في ساعة صباحية مبكرة.

بهدوء يليق به، ظهر تاكسي أصفر سوبر، بأرقام مطبوعة على جانبيه، سلمت "سها" أمرها لله، أشارت، وقف، ركبت، وكان "سيد" قد أتم مهمته بنجاح، وقف، أدار ظهره لظهر التاكسي ومضى.

ملاحظات:

- تقنيًّا، كانت "سها" محجبة.
- القصة حقيقية وحدثت بالفعل أمام شارع زغلول المتفرع من شارع الهرم بمحافظة الجيزة جمهورية مصر العربية، وعند صاحب هذه المدوَّنة شهود على الواقعة.
- أنا آسف.

دقات الهاتف

الليلة يا أولاد، أحدثكم عن الجنس عبر الهاتف.

شخص ما اخترعه، لا توجد في الأثر إشارة إلى أول من ابتكر ممارسة الجنس عن بعد عبر سماعتين وأسلاك طويلة، لكن اكتشافه على ما يبدو، جاء بعد اكتشاف الهاتف نفسه، على كل حال.. ما المفيد في معرفة اسم صاحب الاختراع؟ المهم هو الاختراع ذاته.. فإلى التفاصيل.

هذه السطور مجرد وصف لما يمكن أن يميز جنس الهاتف دونًا عن أنواع الجنس الأخرى، ويمكن اعتبارها مذكرة تفاهم مع وزارة التربية والتعليم، حول تخصيص فصل خاص لجنس الهاتف في مادة التربية الجنسية الحميدة، وهي مادة ستدرس للأطفال بالتأكيد، في عهد وزير تعليم اسمه "الجمل".

أوك.. ما المميز في جنس الهاتف إذن؟!

واحد: "هِزِّيها بالرَّاحة بالرَّاحة.. تِفضلي على طول مرتاحة":

دونًا عن أنواع الجنس المنتشرة بين البشر، فإن جنس الهاتف يستغني عن شرطين أساسيين في أي ممارسة جنسية معروفة.. القدرة.. والإتاحة.

لا يحتاج جنس الهاتف إلى فياجرا، أو انتصاب، بل إنه لا يحتاج إلى عضو جنسي أساسًا، فقط حاسَّتَي السمع والكلام، وقدر قليل من الإحساس.

وبالتالي، فهو متاح للكبار والصغار، الشيوخ والأطفال، السيدات بعد سن اليأس، وكل من يجيد استخدام الهاتف على كوكب الأرض.

ثم إنه لا يحتاج إلى غرفة خالية، أو طرقة منزوية، ولا إلى ساعة حظ يكون البواب فيها نائمًا، والجيران غافلين، فقط يمكن الاكتفاء بكابينة ميناتل، أو موبايل بكارت شحن قابل للاستخدام، وبه عدد قليل من الدقائق، وبالنسبة للفتيات، فالحيل لا تنتهي.. وبشكل عام تميل الفتيات بعد البلوغ للعزلة والخجل والجلوس في غرف مغلقة، يصادف أن يكون بها هاتف.

يمكن ممارسته في السيارة، أثناء القيادة حتى، في العمل، في الحمام، في فراش الزوجية وبجوار زوجة نائمة (الزوجات

الكادحات اللاتي لا يوقظهن صوت محادثة ساخنة تجري بجوارهن).

جنس الهاتف كالعادة السرية، فقط يتفوق على العادة في كونه ليس سريًا بالمعنى الحرفي للكلمة، فهناك طرف ثانٍ، وفي بلد مثل مصر، يكون هناك غالبًا طرف ثالث باعتراف وزير الداخلية، وبالتالي فهو "جنس حيث إن هناك آخر، وهو "عادة" حيث إن تكراره مغري وسهل، وهو "سري" حيث إن الاتصال من مكان مزدحم بالبشر لا يعتبر فكرة جيدة.

اثنين: "علِّي صوتك.. بالغنا":

الذين حرموا أنفسهم من متعة ممارسة الجنس عبر الهاتف، فاتهم أن يدركوا القيمة الذهبية للحنجرة، والدور المهم الذي يمكن أن تلعبه حنجرة مَرِنة في ممارسة جنسية هاتفية ليلية ملتهبة.

الحنجرة بشكل عام مهمة، مممم، بل الرقبة كلها، أعرف أشخاص لا يتخيلون الجنس دون رقبة بيضاء طويلة ممتلئة، على كل حال.

وكون جنس الهاتف يعتمد على الحنجرة في الأساس؛ فإنه يصبح بمرور الدقائق، وبتكرار المكالمات، تدريب عملي فعَّال، على استخدام الحنجرة ساعة الجد، وإدراك لقيمتها المهمة.

للأسف، لا يزال البعض يعتقد أن الأعضاء الجنسية هي ما يوجد في المكان الذي عرفنا اسمه صغارًا بأنه "الحتة اللي بتموّت". لي أصدقاء يتعاملون مع الأعضاء كلها باعتبارها جنسية في المقام الأول، ثم تظهر لها استخدامات أخرى خلال الحياة، كالكف واللسان والأقدام والركبة والسُرَّة.. بشكل عام.. يمكن للكائن البشري العادي، تحويل أي عضو عادي إلى أداة جنسية مهمة.. والحنجرة عضو.. وطريقة التحويل.. هي جنس الهاتف.

لا تتوقف سلسلة الإدراكات في جنس الهاتف عند الرقبة، بل تتجاوزها، لتصبح كل منطقة مستقلة بذاتها، لها أسلوب معين في التعامل معها.. يكفي أنك بعد التجارب الأولى، سكتشف أن القبلة التي تعرفها ليست قبلة على الإطلاق، وأنها موضوع كبير، له بداية ووسط ونهاية.. بل إنك ستضطر إلى تقبيل أشياء ومناطق، لم تتخيل لحظة إمكانية وصول فم إنسان إليها..

يمكن استبدال حصص العلوم عن أعضاء جسم الإنسان بمكالمتين، وذلك في إطار المزج بين التعليم والترفيه.

ثلاثة: الليلة دي سبني أقول وأحب فيك:

ميزة جنس الهاتف، أنه يكتسب إثارته بمرور المكالمات من الإضافات الإبداعية من الطرفين، ومن التفاصيل، وغني عن الذكر أن الشيطان – بنفسه – يكمن في التفاصيل.

في المرة الأولى، ستفعل ما تعتقد أنه من المهم أن تفعله، وفي المرة الثانية، ستفعل ما تعتقد أنك تحب أن تفعله، وفي المرة الثالثة، ستدرك أنك وصلت للمستوى المطلوب، وستبدأ الاكتشاف.

في الهاتف، يمكن اختيار المكان، الزمان، الألوان، الملابس، الموسيقى، الإضاءة، درجة الحرارة، حجم الأعضاء، مدة الممارسة، طريقة البداية والنهاية، لحظات الذروة، لغة المحادثة، يمكن أن يتم اعتبار جنس الهاتف أول ظهور لفكرة المجتمع الافتراضي، فهو بالتأكيد ظهر قبل الإنترنت، على أنه استخدم آليات الشبكة قبل اختراعها أو التفكير في وجودها أصلًا.

الخيال، والعناية الفائقة بالتفاصيل، تلفت النظر بمرور الوقت، إلى الحاجة الدائمة المتجددة، لاكتشاف تفاصيل أكثر وابتكار أفكار أفضل، خوفًا من الملل أو الرتابة، وهو ما يمكن اعتباره، بنظرة واسعة وشاملة، تدريب عملي فعال، للذين لم يوفقهم الله إلى

ممارسة الجنس في الواقع، بسبب البطالة وغلاء الأسعار والمبالغة في المهور.

أربعة: "ألو ألو.. إحنا هنا":

على البُدَناء والدميمات أن يشكروا الله على نعمة الهاتف، ويمتنوا الخير للعقل البشري الذي اخترع جنس الهاتف..

كيف يمكن لبدين في مدرسة ثانوي مشتركة أن يحلم بممارسة الجنس مع فتاة ترغب في اكتشاف طعم القبلة الأولى؟ وكيف يمكن لدميمة أن تمنع نفسها من الرغبة في فارس أحلام يأتي على "توك توك" أسود وبخلفية موسيقية تنطلق من سماعاته "مش كل وِزَّة لابسة كات تبقى مُزَّة"؟

هذه الأحلام، التي تقتلها حقيقة أن البقاء للـ"مزز"، يمكن تحقيقها بسهولة في ظل جنس الهاتف، خاصة وأن ربنا يقطع من هنا ليصل من هناك، البدناء عادة من أصحاب الخيال الواسع، والدميمات صوتهن لا يقاوم عبر الهاتف.. ويا لها من "مَلْيَطَة".

إجمالًا، وبقليل من "slow motion" يمكن اعتبار جنس الهاتف فرصة لتحدي الإعاقة.

خمسة: "خسارة خسارة.. فراقك يا جارة":

لا خسائر في جنس الهاتف على الإطلاق، لا صور، لا مداهمات، ولا أخ يمكن أن يكون هو الآخر يستخدم ذات الحديقة، فقط يمكن تسجيل بعض المكالمات، وهو ما يمكن التغلب علَّيه بحيلة شهيرة يستخدمها في مصر رجال الأعمال والمذيعين والوزراء... الصوت تم تركيبه، وأطالب بالفحص الفني.

لم يُذكر أن فتاة فقدت عذريتها أثناء ممارسة الجنس بالهاتف، إلا إن كانت وضعت السماعة في غير المكان المخصص لوضعها، بمعنى أنها استبدلت الجنس (عبر) الهاتف، للجنس (مع) الهاتف، كما أن الأمراض الجنسية وغير الجنسية الشائعة لا تنتقل عبر الأسلاك، إلا بعض أعراض الصمم، التي ظهرت في جنوب إفريقيا حيث يفضلون الصراخ بقوة في لحظات المتعة الهاتفية.

إذن، يمكن النظر لجنس الهاتف باعتباره بديل المستقبل، في وقت تنتشر فيه دعوات للحد من القبلات والأحضان، فإنه ومع تحريم اللقاءات الجنسية تمامًا حين تنتشر إنفلوانزا الأسماك، يمكن ممارسة الجنس بالسماعات دون قلق؛ لأجل حياة أفضل، مع غسل الأيادي والسماعات قبل وبعد، وهو شيء يحدث في كل الأحوال.

ستة: قال ليه بيداري كده.. ولا هو داري كده:

بين كل الكلمات والرموز التي اخترعها البشر، تبقى كلمة "كده" خالدة الذكر، متعددة الاستخدام، رائعة الأثر، وعندي قناعة شخصية أن أول من ابتكر كلمة "كده" كان يبحث عن كلمة مختصرة يسأل بها رفيقته عبر الهاتف، عن إذا ما كانت تتخيل أثر الحركات التي يتخيل هو أنه يفعلها بجسدها.. ولأن السؤال طويل، وخير الكلام ما قل ودل، تم ابتكار "كده؟".. وتُنطق بشكل استفهامي..

يمكن أن تتخيل مكالمة واحدة مدتها عشر دقائق تُنطَق فيها كلمة "كدة" ألف مرة، وبسرعات متفاوتة... مرة "كـده.. كـده"، ومرة "كده كده كده".. وأخيرًا.. "كـــــــده هـ هـ هـ".. وبالطبع فإن السرعة تحدد ما يمكن أن تعنيه الكلمة وتحتويه من خيال وأفكار وطرق. ولدى بعض المتمرسين يمكن أن يصل الإحساس الحقيقي عبر "كده" واحدة، وإن كان الأمر يحتاج إلى تدريب طويل ومتكرر.

والمبدعات يعلمن، أن أفضل رد على سؤال "كده" ليس "آه" جميلة وحقيقية، بل إن "كده" يمكن استخدامها للتأكيد؛ فتكون "كده" ردًّا

على "كده؟".. وفي التكرار توكيد لفظي.. وعلى الهاتف.. لا نملك غير الألفاظ.

سبعة: متحاولش تبقى حد تاني غير نفسك:

كيف يمكن أن تكتشف أنك سادي؟ أو مازوخي؟ كيف يمكن أن تعرف الفرق في المتعة بين الحركة المعتادة رقم (١)، والحركة رقم (٣) التي لا تحظى بالشعبية، ولا تزال بعض الزوجات يرفضن القيام بها؟ كيف تكتشف ذاتك يا فتى، وتعرف طريقتك الخاصة الأصيلة التي تعبر في كل لمسة وهمسة عنك، لا عن ثقافتك السرية في مشاهدة أفلام البورنو عديمة القيمة.. إنه.. وللمرة المليون.. جنس الهاتف.

في الهاتف، يمكن أن تستأذن رفيقتك في فعل أي شيء، والسبب أن رفيقتك لا تملك القدرة الكاملة على الرفض، لا أحد يرفض الخيال، إنها لو تعلم فرصة ذهبية لأن تكتشف ذاتك، لأن تتخيل كل شيء وتقرر أي من الحركات يناسبك أكثر.

في الهاتف، ستجرب كل الأفعال، الحلال منها والحرام، صعب أن تواجهك إحداهن بأن "لأ لأ كدة حرام".. حيث أنه من المعلوم من الجنس بالضرورة أن "حلاله" مسموح فقط بين الأزواج، وعلى حد

علمي فإن طريقة علاج البرود الجنسي بين الأزواج عن طريق الهاتف غير منتشرة بعد في بلادنا، وبالتالي.. لا تتوقع أن تسمع "حرام" في سماعتك، وإن كان صديق لي سمعها، وكان فقط يطلب بوسة في مكان معروف.

في الهاتف، ستكتشف متعة التفوُّه بألفاظ خارجة أثناء الممارسة؛ لتدرك أن وصف الشريكة بكونها فتاة "سيئة الأخلاق أمر غير مشين على الإطلاق.. إطلاق العنان للسانك، أمر يصعب فعله دون المرور بممر الجنس الهاتفي السحري.

في الهاتف، افعل ما شئت.. كما تدين تُدان، تلك فرصتك الحقيقية لاكتشاف ذاتك، ولمعرفة ما تريده حقًّا، وتلك أيضًا تجربتك الأولى الافتراضية.. في التعبير عن غاياتك ورغباتك القذرة.. خذ (فطيرك) وارحل يا فتى..

ثمانية: الدنيا دي فيها كام بيلياشو؟:

من يهتم لأمر علم الفيزياء في مكالمة هاتفية؟ رغم أن الهاتف نفسه أحد نتائج هذا العلم. فإن مكالمات الجنس الافتراضية لا تهتم كثيرًا لقواعد الفيزياء وأصولها، وتبالغ في التجاوز خلال الممارسة عن أبسط وأسهل قوانينه.

يمكن أن تجد أحدهم يطلب من شريكته وضع يدها في ثلاثة أماكن في الوقت ذاته، أو الالتواء والتحول إلى كرة. أو الممارسة وقوفًا فوق لوح خشبي رفيع، هذا بالطبع فضلًا عن الأخطاء البسيطة المتعلقة بالقبلات في بعض الأماكن المعروفة؛ بحيث يعتقد أحدهم إمكانية الجمع بين مكانين في قبلة واحدة، أو القيام بفعلين في الوقت ذاته هما في الواقع عكس بعضهما.

ونظرًا لأن معظمنا حصل على معلوماته الجنسية الأولى عن طريق أفلام البورنو، ولأنها في الواقع أفلام استعراضية، تشبه ألعاب السيرك؛ فإن محاولة تطبيق ما تراه، وتحويله إلى ما يمكن سماعه، يشبه في الواقع التعليق على مباراة كرة قدم حامية، لكن هذا لا يعني أنك تلعب.. أنت في الواقع تعلِّق.. وتبالغ في الوصف.. وهنا يستمتع الجمهور.

خلاصة الحكاية، أن الهاتف يتجاوز الكثير من القيود، خاصة تلك التي تتعلق بالكُتَل، الأطوال والأحجام والبروز والعضلات والمفاصل والالتواءات، الجسد البشري يكتسب مرونة ولياقة كبيرة في الهاتف.. علَّم الإنسان ما لم يعلم.

تسعة: أمن الدولة:

ويمكن اختصار هذه النقطة في حقيقة علمية واحدة.. خلال القرن الماضي، ورغم الإفراط في استخدام التليفون في مصر، لم يتم القبض على شخص واحد بتهمة ممارسة الجنس عبر الهاتف، ولا تمت مساومة أحد المناضلين على السكوت مقابل حصوله على النسخ الأصلية من تسجيلات مكالماته.

لكن، وفي المقابل، فإن حقيقة أخرى تقول إن التليفونات تتم مراقبتها.. إذن.. فرصتك عزيزي المناضل سانحة، لإثبات أنك لا تنتمي إلى تنظيم القاعدة، مارس الجنس وافرح.. فأعضاء التنظيمات الأصولية المسلحة لا يمارسونه عبر الهاتف.. الواقع موجود.. ونساؤهم حلال لنا.. والله أكبر.

عشرة: صابر ع اللي بيجرالي:

جنس الهاتف كما الصيد يعلم الصبر، والشجاعة، والجرأة، يُكسب المرء قدرًا من البساطة والتوازن، يعلم التنفس بهدوء، والتحدث بصوت خفيض، والدخول المبكر للفراش، وتناول المشروبات الدافئة، بعض خبراء التسويق اكتشفوا أنفسهم في مكالمات هاتفية

ماجنة، الهاتف يعلم الإدارة، والحكمة، يفهم الواحد منا في شبابه أن الأشياء لا تحدث دفعة واحدة.

الجنس عبر الهاتف يعلم المتصل كيف يمكن أن يعيش، دون أن يستأذن أحدًا، يمنحه الفرصة في فعل ما يريد.. ما يريد فقط.. وفي الحصول على جزيرة معزولة دون أي بشر.. ونظرًا لأن الجزيرة حلم مشترك لكل سكان الكوكب، وهو حلم مستحيل في ظل الاحتباس الحراري وإمكانية اختفاء دول ومناطق، يظهر جنس الهاتف ليعطي كل ذي حق حقه، كل ما تحتاجه خَطٌّ، وسماعة، وسلك، وحنجرة، ورفيقة مرحة.. وهي أشياء تعلم في باطنك.. أنها متاحة للجميع..

أعراض جانبية: (يا تشوفلك حل في حكايتنا.. يا تعزِّل وتسييب حِتِّتْنا):

- دقيقة المحمول لا تزال غير رخيصة.. جنس الهاتف مكلف.. اتكلم أرضي يا ابن بلدي.
- ظاهرة تداخل الخطوط الأرضية لا تزال موجودة، وجنس الهاتف لا يمكن أن يتم بين أكثر من طرفين.
- بعض العلاقات الهاتفية تتحول إلى علاقات عاطفية.

- الهوس بجنس الهاتف يجعلك تجرب جنس الماسينجر المكتوب دون كاميرات، وهذه كارثة.
- معظم هواتف المنزل ملحق بها جهاز الكشف عن رقم الطالب.
- الزوجات بشكل عام يفضلن العبث بهواتف أزواجهن.
- بمرور الوقت، وبالاستمرار والتكرار، ظهرت أعراض تأنيب الضمير على بعض المتصلين.

لكن، جنس الهاتف مغامرة، وقيمة المغامرة الحقيقية فيما يلازمها من أخطار، حكمة السطور السابقة هي أن.. "**تلعبوا مع بعض**".

أن أكون باولو كويلو..

على الماسينجر تبدأ الحكاية وتنتهي، لعل هذا يجعلك تطمئن، لا تجاوزات أخلاقية حقيقية، لا أدري من المغفل الذي اعتبر تجاوزتنا الأخلاقية الافتراضية على الإنترنت غير حقيقية ومأمونة العواقب ولا داعي للقلق منها.. على كل.. اسمع..

الأيقونات المضيئة باللون الأخضر في ماسينجري ازدادت أيقونة جديدة، فتاة في مثل سني وسنك، هي أكبر مني أو أصغر، وأكبر منك أو أصغر، هي تماثلنا، تستخدم الإنترنت، ولا زالت ترى في الماسينجر أداة تستحق الاهتمام والاستخدام.

تسألني: "اسمك باولو كويلهو.. صحيح؟".. أضحك في سري، وأرسل ابتسامة رقيقة :).. أسألها أنا عن الطريقة التي حصلت بها على عنواني الإليكتروني.. أعتقد أن باولو سيسأل السؤال ذاته إذا أضافته فتاة في مثل سنه على الماسينجر.

قالت إنها حصلت على البريد من مدونتي، بعد أن قرأت روايتي المشهورة الأخيرة، سألتها، أي واحدة، أجابت "١١ دقيقة طبعاااااا"، أعترف بأنني شخرت في سري، سيسامحني الله بالتأكيد، هناك عذاب أخف بالطبع للمشخر المضطر، وقد كنت مسلوب الإرادة

تمامًا أمام جملة الفتاة الأخيرة، فجأة أصبحت أنا مؤلف "١١ دقيقة" رواية باولو كويلهو الروائي العالمي المعروف، لنرى ما ستفصح عنه نافذة الماسينجر.

السكوت على الماسينجر علامة لأمر من اثنين، الموافقة، أو التجاهل، وقد سكتُّ أنا، وفهمت هي أنني مؤلف الرواية، وهو ما جعل الحديث ينتقل من التمهيد، إلى الفصل الأول والوحيد في الحكاية الإلكترونية المثيرة، مثيرة لأنها مثيرة، ليست مشوقة أو متعددة الأحداث، أحداثها قليلة، وكلها تتعلق بالـ"١١ دقيقة" التي لم أكتبها.

قرأت الرواية المذكورة بعد أن اشتريتُها نتيجة منع بيعها في معرض لبيع كتب باولو كويلهو في جامعة القاهرة التي زارها الروائي منذ سنوات، فهمتُ أن الرواية مهمة، أو أنها تستحق القراءة، وقد قرأتها مرة واحدة، وكتبت عنها تدوينة في مدونتي، التي زينتُ يمينها بعنواني الإليكتروني.

بشكل ما يمكن أن يجعلني جوجل مؤلف الرواية، تمامًا كما يجعل كلمة "روايات جنسية" هي الكلمة الأكثر استخدامًا لزوار مدونتي، فزوار الصفحة للمرة الأولى يأتون عادة عبر كتابة تلك الكلمة في مستطيل البحث في صفحة جوجل الرئيسية البيضاء.

إذن. من الممكن أن يستمر هذا الحوار للأبد، فتاة تعتقد أنني باولو كويلهو، ومعجبة بروايتي الجنسية الشهيرة، وتريدني أن أرسل لها نسخة (لو تكرمتَ)، وتستأذنني في أن تناقش معي بعض أفكار الرواية (إذا سمحتَ وكان عندك وقت).. وقد أجبتُ على كل الطلبات السابقة بالإيجاب، ولاحظتُ أنها تعطيني صندوقًا بريديًّا في السعودية، وهو ما أعطى للحكاية سخونة ملائمة.

كل ما سبق يجعلني متحمسًا لاستكمال "الحوار"، قلت: "كيف تكونين سعودية وتقرأين رواية فاضحة مثل روايتي الأخيرة؟" قالت: "ومن أخبرك أن السعوديات لا يقرأن الروايات الجنسية؟" أخبرتها أن معلوماتي السطحية تجعلني أفهم أن السعوديات لا يمارسن الجنس أصلًا، أو هكذا يروِّج الإعلام لهن..

أخبرتُها أنني مرة كنت في الرياض، من سنوات خمسة، وكنت أعمل وقتها بائعًا للكتب في المعارض، وخصصت إدارة المعرض يوم للنساء فقط، حيث كانت الأيام كلها للرجال دونهن، وفرحت بهذا الخبر، معنى هذا أن مبيعات كتب الأطفال التي أبيعها ستزيد، فالنساء أكثر اهتمامًا بكتب الأطفال والتربية، كما أن "شهوة" الشراء عندهن أكبر، أو هكذا كان أبي يقول.. أخبرتُ أحد

العاملين في دار نشر سعودية بهذا الكلام في اليوم السابق ليوم النساء، قال في حزم: "اسمع.. في المرة القادمة استخدم كلمة أفضل من شهوة.. نساؤنا بلا شهوة يا صديق"..

ضحكَتْ، أرسلت أيقونة حديثة في الماسينجر لامرأة ناضجة تضحك وتحرك قدميها في الهواء، أثارني رد الفعل، واستمر الحوار، بدا أنها على استعداد للحكي.. قالت إنها لا زالت طالبة، وغير متزوجة بالطبع، لكن هذا لا يمنع أنها مارست الجنس مرات من قبل.

كان لا بد هنا أن أخمن أن زميلي في صالة التحرير هو الذي يحدثني، الفتاة تدخل مداخل جنسية مألوفة، كأنها تراودني عن نفسي إليكترونيًّا، فكرت في طريقة للتأكد من هويتها، سحبت إيميلها، وضعته في مستطيل البحث على جوجل، لم أجد شيئًا، أكد هذا شكوكي، كررت البحث في مستطيل الفيس بوك، وجاءت النتيجة، سعودية هي، وجميلة، ولها اسم وإخوة وأب وأم وأبناء عمومة، وفي مثل سني وسنك..

استمر الحديث حتى حانت لحظة مناسبة، فألقيت إليها باسمها الحقيقي، نسيت أن أخبرك أن الحوار امتد منذ البداية وهي تخبرني بأن اسمها "هيفاء"، وهو ما جعلني أتورط أكثر، لم تسألني

عن الطريقة التي حصلت بها على الاسم، ضحكت، وقالت إن روائي مشهور مثلي هو شخص مأمون العواقب، لن يلجأ لاي تصرفات صبيانية..

بالفعل لم ألجأ، بل استخدمت رجولتي الإليكترونية كلها، لأسألها بفضول شديد اعتذرت عنه مقدَّمًا عن تفاصيل علاقتها الجنسية السابقة، حيث أني أدرس حاليًا كتابة رواية جديدة وأفتقد لبعض الخيال.

أخبرتني بأن لها صديقًا ما، زارته في شقته مرات، ومارسا معًا الجنس في حدود بقائها عذراء، سألت: "هل هذا متاح عندكم؟".. حاولت الإجابة عن السؤال الذي بدا فلسفيًا، لكنها اختارت في النهاية أن تخبرني ببعض التفاصيل بخصوص العلاقة بينها وبين صديقها.

لا حياء مع كُتَّاب الروايات الجنسية، أخبرتني بالتفاصيل كما حدثت أو أكثر قليلًا، مستخدمة في ذلك الألفاظ المناسبة، وهي للمصادفة ذاتها الألفاظ التي يمكن أن تسمع مشتقاتها في حديث مُنْفَعِل بين سائقي ميكروباصات بولاق الدكرور وناهيا والكوبري الخشب.

سألت هيفاء – وكنت لا زلت أفضل تسميتها بهذا الاسم – عن مصدر معرفتها بهذه الألفاظ، قالت إن الوطن العربي وإن تعددت لهجاته تبقى أسماء وألفاظ العملية الجنسية واحدة، وهو أمر توحَّد فيه العرب منذ القرون الأولى.. أضفتُ هذه المعلومة عندي وقررت استخدامها يومًا في بحث حقيقي عن المسألة.

فيما كانت هيفاء تحكي، استلمت منها بعض الروابط، لأفلام جنسية نصف إباحية، حاولت أن تشرح لي التفاصيل بأكبر قدر من الدقة، قالت إنها مهمة بالنسبة لكاتب روايات جنسية متخصص مثلي، وقد تلقيت الروابط باهتمام، حيث كنت مسافرًا وقتها، وكان الحديث يتم عبر جهازي المحمول الذي يسمح بتصفح الإنترنت دون قيود رقابية من شركاء الشبكة.

كل الروابط من "YOUTUBE"، عناوين خادعة، عن الانتخابات الأمريكية مرة، أو أسماء أغاني أجنبية، أو حتى كلمات غير مفهومة، أخبرتني أن أي عناوين جنسية مباشرة يتم حجبها في السعودية، تأكدت من قدرة البني آدم الفرد على تجاوز أي قمع من أي نوع، حتى إن كان من جهة هيئة المعروف.

عرضت هيفاء بشكل صريح الانتقال مباشرة من الماسينجر إلى الهاتف، متجاوزين بذلك مرحلة الكاميرا المنزلية المهمة، وعارضت

أنا فكرة الانتقال لما في ذلك من تكلفة لا أعتقد أنني مستعد لتحملها نظير متعة لا أرغب بها في الوقت الحالي على الأقل.

غابت أيام، وعادت قبل رمضان، في ليلة من الليالي التي كنت أجلس فيها وحيدًا في غرفة المونتاج بجوار مهام عديدة في انتظار من ينجزها، إلا أن الملل والتعب يكونان قد أنهكاني بحيث ألجأ للماسينجر علّي أجد عليه ونيسًا غير زملاء العمل.

وجدتها، ألقيت تحية المساء، أخبرتني أن "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته"، فهمت أن الأمور قد دنت من نهايتها، وأن القصة على وشك العثور على نهاية ملائمة، وأخبرتني هي بأنها ذهبت للعمرة، وتابت إلى الله توبة نصوحًا، وسألتني عن معنى كلمة نصوح، فلم أخبرها لأني كنت غير متأكد من المعنى الذي أعرفه، وقالت إنها قامت قامت بعمل بلوك لكل الأشخاص الذين كلمتهم يومًا على الماسينجر، ولا تدري كيف بقيتُ أنا دون بلوك، أخبرتها أنني أحدثها من بريد آخر غير بريدي، وأنني أنشأت هذا العنوان لأحدثها وحدها، حيث أصبحتُ خائفًا من أن تعثر زوجتي على محادثة معها تنهي قصة زواج بدأ منذ شهور ولا أرغب في أن ينتهي الآن.

أخبرتها بأنني كنت أرغب في سماع المزيد من الحكايات عنها وعن صديقها؛ لأني سأكتب يومًا رواية عن لقاءاتهما السرية، قالت إن الحكي في مثل هذه الموضوعات حرام، وإنها أخيرًا عرفت الطريق إلى الله، وإن كانت تشكرني على اهتمامي بتفاصيل حكايتها، فقد كانت تتوقع أن يتجاهلها أديب ومؤلف مشهور مثلي يردد اسمه الملايين ويقرأ له العالم كله.

أيقنتُ أن الوقت مناسب للاعتراف بأني لست باولو كويلو، لكن المحادثة انتهت بشكل أسرع، وفكرت أنني لست في حاجة للاعتراف بأمر لم أرتكبه، فلست أنا من قال إنني باولو، هي اعتقدت ذلك واقتنعت به، ولا زالت. كما أنها لن تصبح فخورة بالتأكيد بأن أسرارها الجنسية الكبيرة كانت تُفشى لبريد مدوِّن بدين من القاهرة اسمه البراء أشرف.

لا تزال هيفاء تسكن ماسينجري، لم تعد تظهر عليه ولا على بريدي السري الذي لا يعرفه غيرها، ربما عرفت الطريق إلى الله فعلًا، ونسيت ما كانت تبوح به هنا، لا زالت صورتها موجودة على الفيس بوك دون حجاب، لعلها نسيت..

تلقيت صباح اليوم رسالة جديدة منها على بريدي، تلومني على عدم إرسال نسخة من روايتي الشهيرة "١١ دقيقة"، وقالت إنها لا

زالت تتمنى أن تضع نسخة موقعة مني في مكتبتها الخاصة، أرسلت أقول إن الطبعة الخامسة عشر لا تزال في المطبعة، وأني أنتظر خروجها لأرسلها لها نسختين أو ثلاثة وليس فقط واحدة، وأني غاضب جدًا من ناشري لأنه تأخر في نشر طبعة جديدة..

وضعت توقيعي الجديد: باولو كويلو، روائي، وشعرت أنه من الجيد أن أصبح شخصًا مشهورًا.

باكـــابورت

(١)

عند خروجي من أكتوبر (المنزل) باتجاه العمل، ألتزم عادة بالسرعات المقررة في المسافة الفاصلة ما بين "ميدان جهينة" و"هايبر وان"، أعلم أن هناك لجنة مرورية ترابط عند الهايبر طوال اليوم، تصطاد صباحًا الخارجين من أكتوبر ومساءً الداخلين إليها.. تلك طريقة على ما يبدو لإقناع الجميع بأن المدينة الجديدة تحولت إلى محافظة بالفعل.

اشتريت من السوبر ماركت المجاور للمنزل زجاجة مياه معدنية صغيرة وعلبة كولا ونوع جديد من الباتية بالجبن الرومي، تأكدت من كون الباتيه طازجًا، وأن حواف علبة الكولا نظيفة وأني لن أكون مضطرًا لثني ورقة منديل لتصبح مثل السهم ودب حافتها بين حافة علبة الكولا لتنظيفها قبل البدء في الشرب.. تأكدت كذلك أن زجاجة المياه لم تفتح من قبل.. تلك أشياء لم أكن أهتم بها من قبل، لكن طبيعة عملي – هذه الأيام – في المونتاج، والمساحة التي اكتسبتها من الهدوء وعدم التوتر، جعلتني أكتسب صفات

كنت أعتبرها في السابق تافهة.. المجد للتفاهة التي تجلب السعادة..

تجاوزت اللجنة، وانطلقت، شاهدت سهم السرعة يشير إلى ١٣٠، خففت قدمي قليلًا لأخسر عشرة كيلومترات من السرعة.. فتحت علبة الكولا.. وشربت.

جرعة قليلة، أقل ما يمكن أن تسحبه من علبة كولا فُتِحت لتوها، احتفظت بالكولا القليلة في فمي، حركتها ببطء، قبل أن أبلعها بهدوء ملائم، جعلني هذا أشعر بأني خارج مصر.

أشرب الكولا ببطء حين أفقد الإحساس بالزمن، وأنا لا أفقد إحساسي بالزمن في مصر، على الأقل في العام الأخير.. أيضًا السير بسرعة على المحور، والسيارة الحديثة التي لا يزعجني صوت ماتورها، كما أني شغلت التكييف على الدرجة الأولى... كلها أشياء جعلتني أشعر بمغادرتي للمكان.. لكن دون غربة أو ضيق، فقط شعرت كأني أراقب الطريق دون أن أكون داخله.. سحبت رشفة جديدة من الكولا.. وضغطت زرًا في الراديو لأسمع نجوم إف إم.

روبي الجميلة تغني.. "أنت عارف ليه... بحبك ليه".. بدأت هلاوسي، رأيت روبي رفيقتي في الكرسي المجاور، رأيتني أعتذر

لها عن أرضية السيارة المفروشة بالمناديل المستخدمة، أخبرتها بأني سأترك السيارة كلها عند البنزينة للتنظيف، وسأسير على قدمي المسافة الفاصلة بين البنزينة ومكتب المونتاج.. سألتها: "عارفة إنتي ليه أنا بحب جمالك".. ردت بنظرة بريئة خالية من الخجل.. قلت: "أحب الجمال القادر على إثارة جدل.. نصف أصحابي يظنون أنك أجمل بنت في مصر.. والنصف الثاني يراك لا جميلة ولا بنت ولا مصرية.. أحب الجمال القادر على فتح باب النقاش.. الخلاف حول الجمال جزء من الجمال نفسه.. ولا إنتي إيه رأيك؟"..

انتهت أغنية روبي، غادرتني الهلاوس، انتهى المحور كذلك، وسأجد نفسي بعد قليل في ميدان لبنان، ومنه إلى شارع جامعة الدول، ثم الدقي، ومكتب المونتاج، سأخلف وعدي لروبي، وسأركن السيارة أمام المكتب مباشرة، ولتظل على حالتها السيئة.
انهمكت في العمل، لا زلت أشعر بأني خارج المكان، غرفة المونتاج هادئة ونظيفة، والشارع لا يدفع أي ضوضاء في اتجاهي، كما أن رفيقي في الغرفة شخص غير مزعج ومؤدب، وقد قابلني عند دخولي شاب جميل سألني في أدب عن المشروب

الذي أفضله فقلت: "قهوة زيادة دوبل"، فكان من نصيبي واحد من أفضل فناجيل القهوة التي شربت على الإطلاق.. علمت بعد ذلك أنه حضَّره بعناية على سبرتاية صغيرة.

(٢)

لستُ في مصر إذن، لو انصرفتُ من هنا، فدخلت السينما في "نايل سيتي ومنها إلى أكتوبر عبر المحور دون زحام، فسأعتقد أني غادرت البلد بالفعل.. لكن شعوري أن مصر ستكشف لي اليوم عن جزء جديد من وجهها.

دخل محمود الغرفة، يساعدني محمود هذه الأيام في إخراج فيلم وثائقي طويل عن السينما الأمريكية، وأساعده أنا في جعله يدرك حقيقة المهنة التي تستعبدنا طوال اليوم..

محمود بمزاج متعكر قال إن سائق التاكسي هو السبب.

"ركبت التاكسي.. لقيت السواق بيعيط.. قلتله مالك.. قالي دخلت أوضة النوم لقيت مراتي في حضن أخويا.. مراتي المنقبة المحترمة المتدينة"..

حاول محمود تهدئة السائق.. قال له: "يمكن أنت غلطان.. يمكن متهيألك".. يمكن هنا حذف الحوار، والقول بأن السائق أكد أن ما

حدث لم يكن مجرد حضن أخوي أو غلطة بسيطة، وأن الأخ كان بيذ... بيذ.. بيذ.. وكررها ثلاثًا.

ضحكت، سألته: "سِبته إزاي يا محمود من غير ما تجيب رقم تليفونه، القصة دي مشوقة قوي، كان لازم نعرف الراجل ده هيعمل إيه بعد كدة".. لا يحب محمود طريقة تفكيري، يعتقد أن عليه أن يكون مهمومًا نتيجة لما حدث، بالنسبة لي، تمنحني هذه القصص قدرًا لا ينتهي من البهجة.. أدرَك أنني لم أر بعد الوجه الحقيقي للأمور..

أفتح اللاب توب، أدلف إلى الفيس بوك.. أقلِّب في الرسائل الأخيرة التي وصلتني.. لدي ٢١٧٦ رسالة لم أقرأها، سيغلقون حسابي إن لاحظوا إهمالي في قراءة الرسائل، لكني متمسك بموقفي تجاه الرسائل الدعائية التي لا تتوقف، والتي لن أتوقف عن كرهي لها..

وصلتني رسالة جديدة من شخص سيكون من الملائم تسميته "سيد"، جعلتني أتذكر بعض الأمور.

(٣)

حين أصبحت من أهل الفيس بوك، سمعت أنه لتصبح ناشطًا في هذه العالم فإنه من الضروري أن تصنع جروبًا ما.. وقد جربت مرة، وكانت النتيجة جروب وحيد يحمل اسمي في خانة الـ"ADMIN"، وقد جعلت موضوعها محبة كاتب صديق، وروايته التي ذاع صيتها في مصر خلال السنوات السابقة.

لم أستمتع بالأمر، فأنا جاهل بفنون إدارة الجروب، وقد حدثني صديقي مرتين أو ثلاثة يطلب مني حذف تعليق وضعه أحدهم عليه رابطًا إليكترونيًّا لروايته موضوع الجروب، وقد استجبت لطلب الصديق؛ فهو حقه وواجبي طالما رأيت في نفسي شخصًا ملائمًا لإدارة جروب على الفيس بوك.

بعد شهور من إطلاق الجروب، استلمت رسالة من فتاة يمكن أن نسميها "ريهام"، قالت ما معناه أنه سيكون من المفيد أن يصبح لهذا الجروب مدير وأكثر، وطلبت مني تفعيلها كمديرة مشاركة، وقد فتشت كثيرًا حتى استطعت تنفيذ طلبها، مدركًا أن الوقت قد حان للتخلص من العبء الأخلاقي لإدارة جروب عن صديق وشخص محترم مثل مؤلف الرواية.

ونسيت الموضوع بالكامل، فقط لاحظت أن الصديقة ريهام نشيطة بالفعل، وأرى على صفحتي الرئيسية بضعة أخبار تقول إن ريهام وضعت صورًا جديدة، وإن أعداد المنتمين للجروب في تزايد، وقد جعلني هذا أقتل أي تأنيب للضمير داخلي بخصوص الموضوع، فقط علمت عن نفسي أمرًا جديدًا أجهله، إدارة جروبات الفيس بوك.

ثم كانت رسالة "سيد".. لأنقلها لكم..

"ازيك يا عم براء.. نشالله تكون بخير.. بقى أنا يا سيدي عضو في الجروب، من زمن، من قبل ريهام ما تبقى حتى عضو مش أدمن، فوجئت النهاردة أن الأستاذة ريهام عملت لي ريموف من الجروب، تخيل، ليه بقى؟! عشان هي كانت عندي في الفريندز وعملت لها بلوك ، ليه بقى عملت لها بلوك؟! لأنها رغم إن اسمي سيد؛ إلا أنها كانت مصرة أني أنا الروائي صاحبك، وقعدت تبعت لي صور عريانة جنسية وتكلمني بدلع، طبعًا لما لقيتها بتدلع جاريتها، وبعدين سألتها أنتي متعودة تتعاملي مع كل الرجالة كده، وإذا كنتي بتتكلمي بالطريقة دي على النت، ماتخلّيكي مُتَّسقة مع نفسك وتعالي نعمل كده في الواقع، راحت قالبة عليًا وقالت لي

مش لما تبقى انت متسق مع نفسك الأول، :)))))، تخيل كل الدلع والمرقعة؛ لأنها كانت فاكراني الروائي، ولما أصريت أني سيد قامت شايلاني من قايمة الفريندز بتاعتها، رغم إنها هي اللي طلبت إني أضيفها للفريندز لمَّا عَمَلْت جروب لنفس الروائي عن فيلم هو عمله قريب، وأنا أصلًا مَعْرَفْهاش ولا عمري قابلتها، ع العموم حقَّها، هي حرة تشيلني من الفريندز، وردِّيت عليها بأني عملت لها بلوك؛ لأني مش طايقها ولا طايق تعليقاتها على كلامي، تقوم تعمل لي ريموف من الجروب؟!! يرضيك الكلام دا يا عم براء..

لو سمحت اعمل لي انفيتيشن للجروب عشان اعرف أشترك فيه تاني، وخليها تبعد عني وتشيلني من دماغها، لو مش مصدقني أنا ممكن أَفَرْوِد لك رسايلها ليا، ولو إني مش عايز أسيء ليها ده مهما كان بنت :)))))

شكرًا"..

ماذا تفعل لو كنت مكاني؟!! فكر فكر.. أنا أيضًا فكرت.. وكانت نتيجة تفكيري إيجابية جدًّا.. شوف كدا..

"ريهام ازيك..

بصراحة مش عارف ابدأ منين.. وصلتني رسالة من شخص أنا معرفوش قلت أبعتهالك.. وأحاول أعرف رأيِك..

براء"..

ثم وضعت نسخة من الرسالة.. وشعرت بالراحة.. فكان الرد...

"أهلا براء

معلش إننا أول مرة نتكلم، نتكلم في حاجة قذرة بالشكل ده، لكن البني آدم ده فعلًا مستفِز، مش هاتكلم في تفاصيل من نوعية هو الروائي أو غيره، لكن فيه بينا حوارات طويلة المدى، وبينه وبين سميرة (صديقة مشتركة ليا ولريهام) كمان، أقدر أنا كمان أبعتلك حوارات معاه من نوعية إني باجري ورا الروائي وبَكْسَبُه بالجروب والكلام ده، مع إني باقابل الروائي شخصيًا كتير جدًا؛ بحكم شغلي في دار النشر نفسها، وتواجدي عمومًا في الساحة، ولو كان فيه بيننا حاجة كانت وَضَحِت، ومع ذلك الشخص ده أكيد مش حد حقيقي، ده حد متقمص الشخصية دي، ودايِر يشتغلني أنا وسميرة بطريقة مستفزة، من أول الصور اللي بيقول عليها، لحد

شتيمته فِيًا على الوال وفي التوبيكس، طبيعي أيًا كان البني آدم ده مين، لو الروائي شخصيًا، مَينْفَعش يكون ليه وجود في الجروب، وأيًا كانت الحوارات اللي بيني وبينه، وأنا بردو معرفوش شخصيًا ولا عمري قابلته، مينفعش يقولك ده ويقولك هابعتهالك، إلا اذا كان حد (وسخ) فعلًا وبتاع حوارات وفضايح، أكيد أنا حاليًا ندمانة جدًا إني اتكلمت مع حد زيه، بس دي مشكلة الفيس بوك في مصر.. الناس بتاخده وسيلة للتجريس.

ما علينا من كل ده، طبعًا أنت حر جدًا إنك ترجعه الجروب أو لأ..الجروب لا هيزيد ولا هيقل بواحد بس، بس لازم تبقى عارف أنه لو رجع مش هانلاحق على قلة الأدب والوساخة اللي هاتبقى ع الوول وفي التوبيكس، مش عارفة من حقى أقولك ده ولا لأه... بس يمكن أنا حقيقية قدامك وأنت عارفني، أولى من غريب مش قادرة أفهم هو عايز إيه مني ومن الروائي ومن مجرد فكرة جروب ع الفيس بوك.

وياريت أعرف ردك قبل ما تاخد معاه أى أكشن، لأن غالبًا لو أنت رجعته هيعتبر ده نوع من الانتصار عليًا بعقله المريض وهَيْزيط في ده.

طبعًا من حقك تستزيدني في التفاصيل لو انت شايف إن شرحي للموقف قاصر...
مستنية رأيك"..

كدت أبكي، فوصلتني رسالة جديدة من ريهام للاستدراك تقول..
"آه أحب أضيف على جملة (نعمل كده في الواقع)، الحد ده رفض يقابلني أو يقابل سميرة أو أى حد، ولما سألنا عليه كل الكتاب والأدباء اللي نعرفهم بعد الموقف الغريب اللي حصل امبارح، طلع مَحَدِّش منهم شافه شخصيًا ولا اتكلم معاه ولا يعرفه ولا حتى تليفونه!!
أنا عارفة أنا واجعالك دماغك من غير أي مناسبة وإنت أكيد مشغول في الحياة بقدر كافي إنك مَتِهْتَمِّش بحوارات الفيس بوك والعَوَهْ ده.
صباح الورد
:)".
ريهام تقول لي "خليك في حالك"، وسأفعل هذا فعلًا، كتبت ردًا مختصرًا...

"مفهمتش أي حاجة تقريبًا.. وكمان مَكانش قصدي إنك تعتبريني بحقق في واقعة معينة؛ لأن الأمر لا يعنيني.. أنا مجرد ناقل للرسالة، وطبعًا لا هرجعه الجروب ولا بتاع.. لأن مليش علاقة بالموضوع تقريبًا..

فقط أكَّدَت لي رسالتك ان الحياة تستمر في كونها باكابورت كبير.. والباكابورت هو البالوع الكبير الموجود عادة بدون غطاء في شوارعنا الحقيرة.

وطبعًا ده مش معناه تصديقي لكلامه.. وعذرًا.. ولا حتى كلامك.. أنا في العموم أبدو غير مهتم.. وسأستمع لنصيحتك المخلصة.. وأتفرغ لمشاغل الحياة الحقيقية..

براء"

فقالت ريهام..

"وأى باكابورت!!! ده أنت لو سمعت مني كمية الحوارات اللي حصلت مع البنى آدم ده، متصدَّقش إن فيه حد فاضي للدرجة دي!! أو بمعنى أصح فاضي ووسخ لدرجة غير مسبوقة، على الأقل بالنسبة لي.

شكرًا طبعًا على أنك مش هَتْرَجَّعه الجروب، وأنا مَقَصَدْتِش إني أعاملَك معاملة المحقق، ولا أخليك تصدقني غصب، بالعكس أنا

أقرِّيت اني غلطانة إني اتكلمت معاه، وما أنكرتش إن ردودي ع الحوارات كانت من باب إني أجيب آخره وأعرف عايز إيه، وده أدَّى إلى فضايح وتجريس زي ما أنت شايف في الآخر، غلطة وندمان عليها على رأي هاني شاكر اللعين، وعلمتني إني ماضيفش حد إلا لما أكون عارفاه شخصيًا.

أتمنى لك حلول سريعة وجِذرية لمشاكل الحياة الحقيقية..

:) صباح الورد"..

على الجانب الآخر كنت أدير حوارًا من نوع مختلف..

"صباح الفل.. بتقول إن عندك صور ونصوص حوارات بينك وبين ريهام.. ممكن أشوفها باعتبارها دليل على صدق كلامك؟"

فكان الرد..

Said

ريهام بعد الليلة اللي قضيناها في تبادل الصور الجنسية، عندي شوية أسئلة ليكي بعيد عن الفيس بوك، وأسئلة الكاماسوترا والحاجات دي، إنتي عملتي كده ليه، قصدي يعني اتجاوبتي مع الصور اللي بعتها ورديتي عليا بصور تانية، أنا مش فاهمِك!! إنتي مش خايفة حد لما يشوف الصور على البروفايل من زمايلك في الجامعة مثلًا بنات أو ولاد هيقول عليكي إيه؟ ولَّا ده بالنسبة

لك عاااادي، إنتي متعودة تعملي الحكاية دي مع ناس كتير، قصدي يعني دا عادي؟!!!

أنا حقيقي مش فاهمِك، ممكن تتكلمي شوية عشان أفهم؟!!

:((((((((((

Riham

تؤ

:((

Said

طب ايه رأيِك نطبَّق عملي؟

:(((((((((

العزيزة ريهام

لا أريد أن أبدو سخيفًا أو متطاوِلًا أو جارحًا لمشاعرك، بس كمان لازم تفهمي أني حسيت من بين سطورك بمشاعر لذيذة لا أستحقها ولا أرغب أن تكون موجَّهة لي، ليس رفضًا بالتأكيد، الغشيم والغبي فقط فقط هو من يرفص النعمة، تقدري تقولي أنا مش حابب أدخل في علاقة من نوع ده، مش عايز أشَبَّط حد فيَّا

وف الآخر أطلع ندل ومش أد المسئولية، حاجات كتيرة ملعبكة أنتي في غنى عنها واقولك إيه (لما تبقي ف سني) أكيد هتفهمي، أنا كنت أتمنى إنك لما تبقي في سني تبقي في حضن الراجل اللي يستهالك، أنا شوفت فيلم "دنيا"، وطبعًا أداء حنان ترك كان عبقري ويخلي الحجر يتحرك ويحس، :)، وحقِّك عليَّا يا ستي إذا كنت زعلتك، راسك أبوسها، أنا مش حاطط صورة في البروفايل لأن كل الصور مش أد كده، لكن طبعًا عندي شعر أبيض، وإن كان الشعر الابيض مش كل حاجة يا وِنَّة، فيه حاجات كتير المفروض تهتمي بيها وتلفت انتباهك،)))، ردِّك بيفكِّرني بشريهان في (العذراء والشعر الأبيض) رد طفولي ومراهق ولذيذ، لكنه غير مناسب أبدًا لواحد زيي..

أنا سعيد – اسما وصفة – بصداقتك، وأتمنى إنها تفضل صداقة لو ما ضايقيكيش..

بيس؟

فاكر المسدج دي؟ أنا كنت باجيب آخرك بس، أنا لما أكون مع حد "راجل" نظرة من عينه هتكفيني، وأكيد مش هابقى معاه ومع

عشرة غيره، حطّيتك قدام مراية ومَعَجَبْنيش انعكاسك فيها، وهاشيلك من الفريندس عندي.. منوّر.

:))

Said

يعني إيه حطّيتيني قدام مراية؟

أنا ما زلت على صراحتي معاكي، في البداية حسّيتك واحدة بتحب رومانس أفلاطوني قولت أَفَرْمِلِك عشان ما حبش أجرح، لكن الكلام من يومين تلاتة لا رومانسية ولا حب ولا دياولو، وأنا ممكن أحترم جدًا إن واحدة تبقى شايفة إن ده جسمها وهيا حرة فيه، وكنت منتظر منك أي تفسير، لقيتك بتدلّعي وعمّالة هئ ومئ وما فيش حاجة مِفَرْمِلاكي، مالِك كده لدغتك عقربة لما كلمتك عن الواقع والحقيقي، إنتي عايزة إيه يا ريهام، مش تخليكي صريحة مع نفسك، حابَّة الجنس الافتراضي مع واحد متعرفهوش، ماشي، عندك استعداد للواقع ماشي، فيه حاجة تانية عندك أحب أعرفها، أنا رغم سني وخبرتي مَعَنْديش مانع اتعلم، ومش هشبط فيكي واقولك لا والنبي ما تمسحينيش م الفريندز، إنتي جيتي لي عشان الروائي وهتسيبيني عشان إيه؟؟!! مش فارقة..

سلاااااااااااااااااااام

Riham

عشان الروائي

:((

سلام

Said

والصور العريانة والدلع اللي فات عشان الروائي برضو؟

:((((((((((((((

أحًا

Said

بالمناسبة.. ما تنسيش تلحقيه قبل ما يتجوز.

ولو أني أشك أن واحد محافظ ومحبكها قوي زيه يبصِّلِك.

يا خسارة.. كنت فاكر أنك متسقة مع نفسك زيادة عن كده.

Riham

لو كنت أنت متسق مع نفسك بزيادة عن كده كنت عملت أَكَّونت باسم "الروائي"؟

يا.. يا روائي..

:)

(٤)

ما الذي حدث بعد ذلك؟ دلَّني الزميل "سيد" على مكان ما في الفيس بوك يمكن فيه رؤية بعض الصور الجنسية التي أرسلتها ريهام له، وهي تحمل توقيعها واسمها، لكنها ليست صورها الشخصية.

واستمر حواري مع ريهام في كون الدنيا باكابورت كبير، وقد أخبرتها بنيتي نقل الحوار إلى المدوَّنة فرحَّبت بذلك.

واستمر "سيد" يطالبني بتفعيل عضويته من جديد، لكني طلبت منه مهلة للتفكير.. ولا زلت أفكر.

تبادلت مع ريهام أرقام الهواتف، إلا أني لم أستخدم رقمها، ولا هي استخدمت رقمي.

أخبرت صديقة بالقصة، فضحكت وشخرت وسكتت قليلًا، ثم قالت" باكبورت فعلًا"، وقد أخبرتني بالأمس في مكالمة هاتفية قصيرة، أنها قابلت بالصدفة في معرض الكتاب وبمقر دار النشر التي يأتي ذكرها سابقًا كلًّا من ريهام وسميرة، وقد سألاها من باب الاحتياط إن كانت تعرف شخصًا اسمه "سيد" فقالت "لا" وهي بالفعل لا تعرفه.

تبقى شخصية "سيد" مجهولة، لكن شخصية ريهام والروائي تحتاج فقط إلى قدر بسيط من التخمين والتفتيش لمعرفة عمن نتحدث.

أبقى أنا غير مهتم بكل ما حدث.. وقد عدت تلك الليلة إلى أكتوبر، بعلبة كولا جديدة، وزجاجة مياة معدنية صغيرة، سحبت من الكولا جرعات أكبر، فقد أصبح من غير الملائم الشعور بأني خارج مصر.

٣
مطـــاوع

بداية:

عندما انتهى التحقيق.. سألني السيد المحقق: هل لديك **أقوال أخرى**؟ قبل أن تخرج الإجابة من داخلي، وبينما كان الكاتب قد كتب بالفعل إجابتي "**لا**"، تكلم مطاوع للمرة الأولى، وقال أقوالًا أخرى نُسِبَت في التحقيق إليَّ، جاء قرار المحقق بالإفراج عني، وخرجت فعلًا حرًّا، لكن كانت يد مطاوع في يدي، عبر أساور حديدية ضيقة، بالتدريج تعرفت على مطاوع، وبالتدريج صارت القيود وكأنها غير موجودة، ثم شاءت الصدفة أن يجيب مطاوع بعد ذلك على **الأسئلة الصعبة التي لا أجد إجابة عنها**..

بداية أخرى:

حتى وقت قريب، كانت الكتابة مشروعًا مشتركًا، بيني وبين مطاوع، وقد أنتج المشروع عدة أوراق، يتضمنها هذا الفصل، بعضها كتبه مطاوع، وبعضها كتبته أنا، ولمشاكل تقنية، أصبح

من الصعب التفرقة بين ما أنتجه مطاوع وبين إنتاجي، وقد رأيت أن أنشر النصوص كما هي، وللقارئ حق الاختيار.

إرشادات القراءة:

- ما كان كان، وما لم يكن لم يكن، فاقرأ أو لا تقرأ، وأجب عن أسئلتك بنفسك.

تمنع قراءة هذا الفصل للذين يعرفون مطاوع معرفة شخصية.

للقارئ متوسط الذكاء: البدين هو أنا.

كيف يحكي مطاوع حكاية النوم؟

في المساءات التي يخاصم النوم فيها منزل الأسرة، يجلس مطاوع وبالقرب منه طفلته الصغيرة، تحرك رأسها في تواتر غير ممل، ناقلة عيونها بين قناة "براعم" في التلفزيون، وبين وجه مطاوع المثبت تجاه شاشة جهازه الإليكتروني، يكتب شيئًا ما.

على شاشة "براعم"، يوجد جرافيك جذاب بخلفية موسيقية هادئة، عبارة عن قمر له عيون، ينام ويشخر بصحبة عدد من الطيور، الموسيقى مصممة بحيث يعتادها الأطفال وينامون، أول برنامج جديد سيكون في الصباح، والأطفال ينامون مبكرًا، وهي معلومة قرأها مطاوع على دعوات أفراح الـ"هاي كلاس" التي جاءته مرة أو مرتين في حياته، لكنه لم يرها تتحقق أمام عينه، فالطفلة لا تنام مبكرًا، بل ربما هي لا تنام أصلًا.

والحقيقة، أن مطاوع يشكر الله ومستشفى الولادة والسيد الرئيس على ابنته، فهي – وإن كانت مصابة بأرق دائم – إلا أنها غير مزعجة، تبكي وقتما يكون للبكاء ضرورة، وتضحك وقتما ترى الضحك يملأ المكان.

لماذا لا ينام مطاوع إذن ويتركها وحدها مع شاشة براعم؟ الحقيقة أن هذا ممكن، لكن مطاوع سيترك معها ثلاجة يمكن فتحها بسهولة، وباب للحمام يمكن دفعه بحيث تبدأ فقرة "الكريزي ووتر"، وبشكل عام، فالأطفال وإن كانوا لا ينامون مبكرًا، فإنهم لا يتركون وحدهم في ساعة متأخرة كهذه.

هنا، يكتشف مطاوع أن عليه أن يمارس دوره كأب، وأن يبدأ في الحكي، الحكايات تسحب النوم إلى عيون الطفلة، وتحبب النعاس إلى قلبها، وتقنعها بفكرة أن إغلاق عيونها والانطلاق في الأحلام أمر مقبول وجائز وغير مؤلم على الإطلاق.

الخطوة التالية، أن يختار مطاوع حكاية تصلح للنوم، في مرات سابقة، حكى مطاوع – بسلامة نية – عن الأمور العادية التلقائية التي تحدث في العالم، بعد ساعة، كانت الطفلة تستيقظ فزعة، ومنطلقة في الصراخ، ثم تقول بين دمعة وأخرى "حكاية نوتي ونوتي في لغة الطفلة تعني شيئًا سيئًا غير جيد يفضَّل ألا يحدث مجددًا.

يتخذ مطاوع وضعية الحكي، يضم الطفلة ويريحها على جسده، كم تمنى أن يرزقه الله بطفل أو طفلة ينام على جسده، الطفلة على جسده الآن لكنها لا تنام، النوم في حاجة إلى حكاية،

والحكاية في حاجة إلى خيال، ما أوسع خيالك يا مطاوع، أطلق لنفسك العنان، واحكِ يا فتى، هذه طفلتك التي تمنيتها من الله في حديثك الأخير معه، هذه هي، عامان ونصف من البراءة في حجرك، قل ما لديك، أخبرها، لون لها العالم، اخترع الشخصيات، اخلق الحكايات والأحداث.. مطاوع.. افعل ما يجب أن تفعله، كي تفعل الطفلة هي الأخرى ما يجب عليها أن تفعل، وتنام.

كان يا ما كان، يا سعد يا إكرام..

من هو سعد؟ ومن هي إكرام؟.. ماذا فعل سعد في حياته ليصبح اسمه حاضرًا في قصص كل أطفال العالم، وإكرام، اسمها سخيف، والتاريخ وإن كان يذكر سعد زغلول وسعد الصغير وسعد الدين إبراهيم، فإنه لا يذكر ولا إكرام واحده..

ما يحلى الكلام إلا بذكر النبي عليه الصلاة والسلام..

زيد النبي صلاة، ثم مرة أخرى، على الأطفال أن يصبحوا متديِّنين، عليهم أن يعرفوا الأنبياء ويصلوا عليهم، لكن هل يمكن أن يحلى كلام به بعض الإباحية، وقد بدأ بالصلاة على النبي الكريم؟ ولماذا يا مطاوع تحكي للطفلة حكاية إباحية، اصنع قصة تليق بطفلة، اترك معتقداتك جانبًا وأخبرها بأي شيء كي تنام وتتفرغ أنت لعالمك الإباحي الحقيقي..

أوك، و"أوك" هذه تعني "حسنًا" في ترجمة الأفلام، تمام كما تعني "FUCK" "تبًّا".. سامح الله "أنيس عبيد" الذي ترجم الأفلام الإنجليزية لنا في الصغر، فأضاع لنا العربي والإنجليزي، وتركنا هكذا، نتأرجح بين الرذيلة والفضيلة..

طاوِعني يا مطاوع واترك أنيس عبيد في حاله، وركز في حالك، بص في ورقتك يا رفيق، انظر إلى طفلتك، هي في حاجة لحكاية حقيقية، تجلب لها النوم وتنتهي السهرة..

أوك.. كان في بنت اسمها إيه.. عن من يحكي مطاوع، الفتيات اللاتي يعرفهن أسوأ من أن يتم إدراج اسم واحدة منهن في قصة للطفلة البريئة.. عمَّن يحكي إذن؟

عندما فكر مطاوع، بعمق لا يلائم تفاهة المسألة، قرر أن كل الحكايات غير صالحة، لا الحكي عن البنات، ولا الولاد، لا الحكي عن أحد.. فكر مرة أخرى، ثم أعاد التفكير، مرر يده على شعر الطفلة، ونظر في عيونها بدفء – أو هكذا ظن – ثم بدأ الحكي..

"كان في طفلة اسمها مليكة، كانت عايشة مع بابا وماما، بابا كل يوم كان بيحكي حكاية جديدة.. مرة عن القطة، مرة عن الأسد، مرة عن الحمار.. لكن النهاردة، بابا يحكي عن مليكة، البنت

الجميلة، قبل نومها، بتتفرج على براعم، وتشوف القمر نايم، وتقعد مع بابا، يحكي حكاية، وتنام، وتصحى الصبح، تتفرج على براعم تاني، لما القمر يكون صحي"..

يعتقد مطاوع أن حكايته كانت واقعية جدًا، فلا هو كذب، ولا هو أخبر الطفلة بأمور ينبغي ألا تعرفها في سن كهذه.. يكاد مطاوع ألا يصون السر، فيخبر طفلته بالحقيقة، يحكي لها عن العالم، عن الحب، عن الله، عن السيد الرئيس، عن مايكل جاكسون، عن الأشياء التي يجب أن يحكي عنها.

يكاد مطاوع أن يخبرها عن نفسه، أن يحكي الحكاية من البداية، عن الطفل الذي لم تُحْكَ له الحكايات صغيرًا، فقرر أن يؤلفها كبيرًا، وانتهى به الحال، جالسًا أمام جهازه الإليكتروني، يحكي القصص للناس، لكنه عاجز عن ابتكار قصة تلائم صغيرته.

يكاد مطاوع أن يفعل، لولا أن الطفلة ترضى بنصيبها وتقرر أن تنام.. يعلن مطاوع أن "توتة توتة.. خلصت الحدوتة"، ثم يطرح سؤاله التقليدي: "حلوة ولا ملتوتة".. ترد الطفلة في حماس: "حلوة".. يقبلها ويسحبها للسرير، يفكر في الطريق أن يسألها إن كانت تنافقه أم أن القصة جيدة فعلًا.. سيكون مزعجًا أن تتعلم الطفلة الصغيرة النفاق في وقت مبكر كهذا.. العالم سيعلمها

النفاق لكن بعد قليل.. يفكر أن يحرجها بسؤال صريح عن معنى كلمة "ملتوتة" التي لا تختارها أبدًا.. قبل أن يصل إلى باب غرفة النوم تكون الطفلة قد استسلمت للنعاس.. يتركها مطاوع في سريرها ويعود للنقر على جهازه، عليه أن يكتب قصة جديدة للبشر.. قصة ليست حلوة.. قصة ملتوتة..

الوضـــع!

(١)

"مطاوع، حدِّثني عن الألفين وتسعة"..

قلتها وكان على وشك الخروج من الحمام.. الباب مفتوح، وهو يقف بملابسه التي أتى بها من الشارع.

خلع فردة شرابه ويهم بخلع الأخرى، وسيلقي بها على ما أظن عندما يصل إلى باب الحمام، صانعًا من الشراب كرة قماشية.. ومصوبًا تجاه صندوق بلاستيكي أخضر طلبت منه زوجته أن يضع به الملابس المتسخة التي يرغب في دخولها لدورة غسيل جديدة.

لاحظتُ أنني بمراقبتي له نسيت أن ألتقط حركة عادية يفعلها "مطاوع" كل مساء، فمع كل مرة يخلع فيها شرابه.. يمسك الفردتين باهتمام.. ويقربهما من أنفه.. ما الذي يتوقع مطاوع أن يجده في رائحة شراب يرتديه من الصباح إلى المساء؟

لم يمر وقت طويل بين اللحظة التي ألقيت فيها سؤالي، وبين انتهاء "مطاوع" من تشمم رائحة شرابه الأبيض، هو يفضِّلها بيضاء أيًّا كان ما يلبسه..

توقعتُ أن أتلقَّى ردًّا.. لكنه أدار وجهه ناحيتي، وكانت يده وشرابه لا تزالان على مقربة من أنفه.. وقال: "نفسي أعرف ليه بحب أشم ريحة شرابي قبل ما أرميه في الغسيل".

تجاوز باب الحمام، وضع يده على كتفي وبدأ يشرح نظريته.. قال إن هناك حركات عادية يفعلها بعض البشر دون مبرر.. منها شم رائحة الشرابات، والنظر إلى فتحة المرحاض بعد القيام مباشرة وقبل الضغط على زر صندوق الصرف، والنظر باهتمام إلى طرف الصباع الذي خرج لتوه من فتحة الأنف محملًا ببعض المخاط. وتفحُّص ما خرج من الفم إلى المنديل بعد سعال قوي مصحوب ببلغم، وتأمل طرف الأنبوب البلاستيكي الأزرق الصغير ذو الأطراف القطنية، والذي يستخدم لتنظيف الأذن، والحملقة في المبولة أثناء التبول.. والتأكد من أن النظرة موجهة إلى المبولة، وليس إلى العضو، لا أحد يهتم بالنظر إلى عضوه أثناء التبول بل أثناء الانتصاب فقط.. لكن النظر للمبولة فعلًا أمر غريب..

"ولا إيه رأيك؟".. قالها مطاوع وقد أهمل الإجابة على سؤالي. وكنت على وشك الإصابة بنزلة برد، فعطست.. ووضعت يدي على أنفي.. وفور أن انتهيت.. فتحت كفي.. ونظرت.

(٢)

"مطاوع، حدثني عن الألفين وتسعة"..

"حاجة وسخة".. قالها وهو يلقي بهاتفه المحمول على سطح مكتبه.. كان واقفًا بجوار الكرسي، دخل الغرفة منذ دقائق، ويبدو أن إضاءة الشمس كانت جيدة بحيث قرر إجراء المكالمة بجوار الشباك.

وضع الهاتف على أذنه، وتابع بنظره حركة السيارات أسفل البناية.. بدا وكأنه سينطلق في السباب فور أن يتلقى إجابة من الطرف الآخر.. ويبدو أنه كان يتصل بشخص ما سعيد الحظ.. بحيث لم يتلقَّ "مطاوع" أي رد.. فألقى هاتفه.. وردد: "حاجة وسخة".

كان الوقت الفاصل بين سؤالي وجملته لا يزال قصيرًا بحيث توقعت أن أتلقى منه ردًّا.. لكن يبدو أن عدم تلقيه هو على رد في اتصاله أزعجه بحيث تعكر مزاجه وارتسمت علامات الضيق على

وجهه ونظر إليَّ.. أو بشكل أدق نظر إلى المكان الذي أجلس فيه، كانت نظرته واسعة بحيث اعتقدت أنه لا يراني أصلًا.
ثبَّت نظره لنصف دقيقة.. ثم دس يده في درج جانب مكتبه، وأخرج علبة خشبية مستطيلة وطويلة. بها فتحات صغيرة ورسومات إسلامية على شكل مثلثات متداخلة.. ويبدو أن أحد جوانبها يفتح بابًا.

خمّنت أنها علبة لحفظ المجوهرات أو الأقلام الغالية.. لكنها كانت مبخرة، دسّ "مطاوع" يده الأخرى لأسفل لتعود إلى سطح المكتب وبها علبة ورقية كبيرة، صفراء، وعليها رقم ٦٠ بحجم كبير، وكلمة "Lemon" ومليئة بأعواد البخور.. نظر جيدًا لأطراف الأعواد، واختار عودًا بعناية. ثبته داخل المبخرة، وتراجع بكرسيه للخلف، بحيث يتمكن من فتح درج سحري في المكان الذي كانت تلتصق به بطنه.. أخرج ولاعة صغيرة، وأشعل طرف العود.. حمل المبخرة بيده وقربها من وجهه.. شعر بسخونة اللهب.. ثم قرر القضاء عليه بنفخة واحدة.. أغلق باب المبخرة.. وضعها جانبًا وجلس يتأمل خيوط الدخان ترتفع لأعلى.. نظر لي نفس النظرة الواسعة.. ثم قال: "حاجة وسخة فعلًا".. لكنها لم تكن إجابة على سؤالي.

(٣)

"مطاوع، حدثني عن الألفين وتسعة"..

كنت بجواره في التاكسي الذي استقلّه من الدقي إلى أكتوبر.. جلسنا متلاصِقَيْن.. اثنين من البدناء أكبر من أن تتسع كنبة سيارة شاهين خلفية لهما.. لكنها اتسعت.

في البداية ظن السائق أني أحدثه.. لكن نظرة منه في المرآة لسماعات الموبايل في أذن "مطاوع" جعلته يفهم أن ثمة مكالمة تحدث.

وقد كانت هناك مكالمة بالفعل، لكن يبدو أن مطاوع لم يكترث لسؤالي بحيث لم يكلف نفسه عناء إخباري ولو بالإشارة أنه مشغول الآن في محادثة إحداهن.. ما أعرفه عن مطاوع أنه يفضل أن تكون مكالماته بعد انتهاء أوقات العمل.. نسائية.

في هدوء القِدِّيسين والرهبان، نزع "مطاوع" فردة سماعة من أذنه اليسرى وناولها لي.. في دعوة صريحة للتنصت على ما يدور بينه وبين طرف آخر لا أعلمه.

"تمام تمام".. قالها لمحدثته في محاولة للتغطية على أية جلبة قد أصنعها أثناء تثبيت فردة السماعة في أذني.. الآن أسمع أنا وهو.. وتتحدث هي.

"عارف.. ركوبك التاكسي ده دليل على أنانيتك.. أنت أناني قوي.. سايبني لوحدي أستحمل كل حاجة.. أنا تعبت.. عارف بقالنا كام شهر على الحال ده؟ عارف؟ رُد عليَّا، ولَّا ترد ليه... ما أنا الكلبة اللي بتهوهو.. أنا الجارية اللي أبوك جابهالك.. صح؟ طب عمرك فكرت فيَّا لحظة؟ عمرك تخيلت أنا تعبانة إزاي؟ عمرك؟ عمرك؟ عمرك؟.. يا أخي ده أنا عمري ما بشتكي.. عمري ما بخليك تاخد بالك من إني تعبانة وجبت آخري.. أنت أناني قوي.. سايبني لوحدي أستحمل كل حاجة.. أنا تعبت"..

كان "مطاوع" يدير أصابعه في حركات دائرية رتيبة.. فهمت أنه يلاحظ تكرارها لما قالته مرة أخرى.. ويبدو أنها لم تكن المرة الأولى التي تكرر فيها ما قالت.. فبهدوء دنياصوري قال: "تمام تمام والتقط أنفاسه وأضاف: "يلا سلام دلوقتي

كانت المدة الفاصلة بين سؤالي ونهاية المكالمة طويلة. بحيث لم أتوقع من "مطاوع" أي رد. والحقيقة أنه لم يخذلني.. سكت تمامًا حتى وصلنا إلى ناصية الشارع الذي نسكن فيه.. "أيوة هنا".. نزل

ودفع.. ولم يكلف نفسه عناء إخباري بالسبب الذي قرر لأجله إنزالنا من التاكسي على مسافة بعيدة جدًا عن المنزل.. قرر "مطاوع" أن يجرب المشي.. وأنا معه.. دون حتى أن يجيب على سؤالي.

(٤)

"مطاوع، حدثني عن الألفين وتسعة"..

هل كان "مطاوع" يعلم أن اللمبة ستنفجر؟

يقول "مطاوع" إن قلبه يحدثه بخصوص الأشياء المزعجة التي من الممكن أن تحدث له في الدقائق القادمة.. لكنه لا ينصت عادة لقلبه.. فهو صاحب قلب ثرثار، لا يتوقف عن الحديث، ثم أن الاستماع لقلب أمر قد يبدو مملًا، ويفتقد لكثير من الحكمة.. يقول "مطاوع" إنه لا يملك الوقت الممكن تضييعه في الأشياء التافهة.

يقول "مطاوع" إنه يشاهد الحوادث مرتين.. مرة حين يتوقع حدوثها، ومرة بعدها بدقيقة حين تحدث بالفعل.

لم يقل "مطاوع" كل هذا حين انفجرت اللمبة.. الحقيقة أن المرة الأخيرة التي سمعت فيها صوت "مطاوع" في حديث موجه إليَّ.. كانت منذ فترة طويلة، وبالتالي فإن ما يقوله "مطاوع" الآن، هو ما

سبق أن قاله.. وأنا كصديق – أحاول أن أبدو مخلصًا – حفظت كلماته.. وصرت أرددها.

حين انفجرت اللمبة كانت الساعة قد جاوزت الثالثة صباحًا.. وكنا سويًّا على باب المطبخ.. وشاهدتُ الشباك مفتوحًا، مما يعني أن الهواء البارد مع السيراميك قد جعل من المطبخ ثلاجة كبيرة.. وقليل من قوانين الفيزياء يؤكد أن لمبة تصلها الكهرباء في هذه الأجواء.. لا بد أن تنفجر.

على ضوء شمعة لونها أحمر من تلك المخصصة للاحتفالات العاطفية، وقفت بجوار "مطاوع" أمام طاسة الزيت أراقب قطع البانية المجهزة سابقًا يتحول لونها في ميكانيكية من الأبيض للأصفر. غرز "مطاوع" الشوكة في بطن قطع البانية واحدة تلو الأخرى، وسحبها خارج الطاسة على طبق زجاجي فرش عليه منديل أبيض كبير من النوع الذي لا توجد به رائحة يمكن أن تختلط بالطعام فيفسد.. رأيت المناديل تسحب الزيت.. ورأيت "مطاوع" يغرز الشوكة من جديد في بطن قطعة بانية ويقدمها لي قائلًا "بسم الله"..

(٥)

"حدثني عن الألفين وتسعة يا مطاوع.. حدثني من فضلك".

أعرف أنك لا تريد أن تفعل.. أعلم أنك لم تعد تطيق حديثي.. صوتي.. وجودي..

لكنها الظروف يا مطاوع.. الظروف.. وجودنا معًا قدر.. عقوبة.. قرار شخص آخر غيرنا.

تذكَّر يا مطاوع الأيام الجميلة.. حين كنا نشكر الله أننا لسنا شخصًا واحدًا.

كنت تباهي الناس بأنك لست وحدك.. أنا معك.. وكنت أفعل الأمر ذاته.. كنت أخبرهم عنك... حدَّثني مطاوع.. أخبرني مطاوع.. ذهبت مع مطاوع.

لكنك هذه المرة ترغب في الذهاب وحدك يا رفيقي.. في الرحيل وحدك.. ماذا أفعل دونك يا مطاوع؟ وماذا تفعل دوني؟!

حالي لا يسرك.. ولا يسر أحدًا.. حديثي صار مملًّا.. وأسئلتي كثيرة.. كنت تسألني سابقًا فأجيب.. الآن أسأل أنا فلا تنطق.. أحدثك فلا تكترث لوجودي.. خصامنا مستحيل يا مطاوع.. لا تفارقني.. حاول.. جرب.. اضغط على نفسك وابق قليلًا.. لا.. ابق كثيرًا.. فالرحيل واحد.. سواء كان الآن.. أو بعد سنة..

حدثني عن السنة يا مطاوع.. عن الألفين وتسعة التي كان حديثنا قبلها مسموحًا.. عن الأصدقاء الذين ماتوا.. والأحباب الذين انتحروا.

حدثني عن الذين قتلناهم معًا.. حدثني عن الموتى.. عن الرسائل الإليكترونية الطويلة (عديمة القيمة).. عن مواقع الإنترنت الإباحية.. عن المدونات.. حدثني عن الفيس بوك.. والتويتر الذي لم نفهمه.. حدثني عن الكلام.. الكلام يا مطاوع.. أتذكره؟

يا مطاوع لا تحزن.. الحزن لا يليق بك.. والصمت كذلك.. مايكل جاكسون مات.. لكن ألبوماته تبيع أكثر الآن.. أعلم أنك تحزن لرحيله.. كنت تحبه.. تتمنى أن تصبح في حجمه ووزنه.. لكنها البدانة يا صديقي صفتك وصفتي.. والبدناء في الجنة.. لأن تعذيبهم في النار سيبدو مزعِجًا.. ولأنهم تعذبوا في الدنيا بما يكفي..

اضحك يا مطاوع على سخافاتي.. كنت تضحك سابقًا.. ما الذي حدث.. ما الذي فقدته.. وما الذي فقدناه معًا؟

أصبح شعر مطاوع طويلًا.. خرج لتوّه من الحمام.. ويرتدي "بورنس لبني، وبعض البخار يتصاعد من حوله.. وقفنا أمام

المرآة.. وضع الـ"جيل" على شعره وفركه جيدًا.. تناثرت قطعة جيل أخضر على سطح المرآة وتركت بقعة لزجة.. لم يكترث لها مطاوع إطلاقًا.. بل أكمل محاولاته للسيطرة على خصلات شعره الطويلة.

تأكدنا معًا أن مظهره لم يعد جيدًا كما كان في بداية العام.. وسجلتُ وحدي ملاحظة أن "مطاوع" بحاجة إلى "بورنس" جديد.. وعلبة جيل.. والذهاب إلى الحلاق، وإصلاح نظارته المكسورة.. وشراء ملابس شتوية تلائم زيادة وزنه الأخيرة.. والبقاء لفترة أطول في الحمام للاستمتاع بالدش الساخن.. والاستيقاظ في وقت يسمح لجسده المترهل بالحصول على حقه من الراحة.. والنوم على مرتبة جديدة غير تلك التي اشتراها لأنها طبية؛ فاكتشف أنها ستجبره على الذهاب إلى الطبيب للعلاج من آلام المفاصل والفقرات.

سجَّلت بالنيابة عن "مطاوع" أنه سيكون بحاجة للجلوس مع زوجته في بداية العام الجديد.. في محاولة أخيرة للتفاوض حول حق المواطن في ركوب التاكسي.. وحول عدد المرات التي سيسمح لها بتكرار كلماتها في المكالمات الليلية التي تسبق وصوله إلى المنزل.

وسيكون من حظي أن يجد مطاوع وقتًا يسمح له بالثرثرة معي.. أو على الأقل للتأكد من فكرة أننا لا زلنا شخصًا واحدًا.

كان مطاوع قد تركني أسجل ملاحظاتي.. وخرج من الغرفة إلى الشارع مباشرة.. تاركًا ورقة صفراء صغيرة ملتصقة على سطح المرآة بجوار بقعة الـ"جيل" الخضراء اللزجة..

"غبي.. أو لم تفهم بعد؟" ويبدو أنها إجابة على سؤالي.

مطاوع يتحدث عن نفسه

عندما بدأ الحفل، كان كل شيء جاهزًا، العصائر، الأطعمة الخفيفة، الموسيقى الهادئة.. الفرصة سانحة لأصدقاء مطاوع للاحتفال به.. لكن التكييف معطل، تم اكتشاف الأمر في اللحظات الأخيرة، فقرر الجميع أن استخدام المروحة لن يكون مزعجًا، ولسوء الحظ، فإن المروحة الموجودة كانت ماركة "توشيبا" موديل التسعينات، ريشتها حديدية، وصوتها عالٍ لكن غير مزعج. بعد شرب الكازوزة، شعر مطاوع أن اللحظة مناسبة لقول ما يريد الآخرون أن يسمعوه، وقف أمام المروحة، وجرب أن يتحدث ووجهه ملاصق لها، اختبر صوته.. "أنا أنا أنا".. خرج الصوت من الناحية الأخرى مموَّجًا.. "أنـاااا، أنـاااا، أنـاااا".. ضحكنا جميعًا، وأخذ كل منا مكانه، واعتدل من كان نائمًا، لحظة وساد الصمت، وبدأ مطاوع وحده الحديث عن نفسه..

"أنا..

السمكة التي تتخبط على السجادة، تنتفض، تموت بعد قليل، كل هذا لأن أحدهم أرسلها هدية لزوج جديد، فوضعها في الحوض المخصص لسمك الزينة، ورأى أن يجعلها تشعر بالسعادة، فملأ الحوض إلى آخره بالماء، ولأنه يؤمن بالحرية، فقد ترك الحوض

دون تغطية، ولأنه يعتقد أن الخصوصية حق لكل كائن، أطفأ نور الغرفة، وأغلق الباب وخرج، وأنا.. كسمكة زينة صغيرة وحيدة، أصابتني الهلاوس، أكلتُ كل الحبيبات الملونة التي تباع كأكل للأسماك، شعرت بالامتلاء، هاجمتني الكوابيس، جريت هنا وهناك، قفزت لأعلى، فوجدت نفسي على السجادة، أنتفض، أتخبط، أموت بعد قليل.

سيأكلني النمل بالتأكيد، وسيأتي صاحب الغرفة، يراني، يغضب، ويبدأ التفكير في قناعاته بخصوص الحرية والخصوصية وحوض أسماك الزينة التي تقرر الانتحار بالقفز إلى السجادة وتجلب النمل إلى الأرضية.

أنا الفيل، فيل في جيش أبرهة مأمور بهدم الكعبة دون أن يخبره أحدهم بسبب الخناقة، أنا الكاتب الذي يراود الكتابة عن نفسها، فتراوده الكتابة عن أنفاسه.

أنا ديوان الشعر الذي لن يُطبع، والفيلم الذي لن يحصل على منحة وزارة الثقافة، نوت الفيس بوك التي لا تأتي بتعليقات، أنا ستاتيس على الموقع ذاته لا تستفز أحدهم للضغط على "LIKE".

أنا مُتعَب، أنا "بايظ"، أنا خرتيت كسول أصابع قدميه تبعث رائحة نَتِنَة وهو يحبها.. أنا سقف غرفة واسعة على وشك التعبير عن

حبه للأرض والذوبان بها بالسقوط، أنا حجر شيشة تفاح يرغب في تغيير الولعة لكن صبي القهوة لا يستجيب، أنا أجلس تحت الشجرة، وعصافير الشجرة تقضي حاجتها على قميصي الأبيض، ولا يروقني قول الأصدقاء أني "هَتْكِسِي

أنا البيت القديم، محل الخردوات، الكراكيب التي ترى صاحبة المنزل أن الاحتفاظ بها ضروري، أنا الشيش أتحدى الألموتال، أنا باب الأوكرديون الذي يفصل الصالة عن غرف النوم، ركَّبوني منذ سنين، ولم يستخدمني أحدهم ولو مرة. أنا الأنسر ماشين، بالشرائط الصغيرة والرسائل المملة بعد سماع الصفارة، أنا عدة الموبايل القديمة الملقاة في الدرج، ويظن كبار السن أن سعرها بالتأكيد أغلى من الأجهزة الأحدث الملونة ومزعجة بالرنات المجسمة.

أنا نهايات الأفلام العاطفية الغبية، أنا صاحب فرعون، بل إني أنا فرعون، شرائط الـ(VHS)، عصر ما قبل الـ(DVD)، أنا القرص المرن، أنا القرص الصلب، أنا الفأرة، أنا علبة أحبار الطابعة التي نفدت منذ زمن.. أنا كورس الكومبيوتر الذي لا يأخذه أحد.

أنا الرِّخَص، أنا الصين، البضاعة المضروبة التي تجد من يقدرها، أنا الزبادو، ومصنع الزبادو احترق، مصر تعاني دون

زبادو، وأنا علبة الزبادو الأخيرة، نجوت من الحريق، لكن الحرارة أفسدتني، من يرغب فيكم في شرب زبادو أفسدته الحرارة؟.. من؟"..

هنا انتهى مطاوع من الحديث عن نفسه، رفع الزجاجة بما تبقى من كولا في الكازوزة، ثم سحب نفسًا هادئًا.. ضحكنا جميعًا، وعادت الضجة واختفى صوت المروحة، هذه المرة أجاد مطاوع التمثيل، وجعلنا جميعًا نتأثر... مطاوع مدهش فعلًا، هذا رأيي فيه منذ رأيته للمرة الأولى يلعب البلياردو في صالة بجوار المدرسة الثانوية.

بعد دقائق، بحثت عن مطاوع في المكان، لم يكن في الصالة الضيقة، أو في المطبخ المزدحم بعلب الجاتوة الكرتونية.. أزحت الستار ونظرت إلى البلكونة، وجدته ينفث دخان سيجارة في الهواء، وفي عيونه نظرة ضيق، لوهلة شعرت أن مطاوع كان يقصد ما قاله عن نفسه.

هـــروب

حكيت لأحمد عن قصتي مع مطاوع، ضحك، وقال إنه بالتأكيد سيكون أمرًا مسليًا أن يقدمني لأصدقائه قائلًا: "أعرفكم على مطاوع".. سكت لحظة، وضحك مرة أخرى قائلًا، "لقد كتبت للتو على الشاشة التي أمامي جملة.. قلت فيها.. صديقي الذي يظن نفسه مطاوع".

لم تضايقني ضحكات أحمد على الإطلاق، بالعكس، جعلتني أتجاوب أنا الآخر في السخرية من نفسي، ومن مطاوع، ومن أحمد أيضًا.

الآن، أحكي لكم عن عن مطاوع.

القصة تبدأ في وقت ما، عرفت فيه الطريق إلى الكتابة، وكنت أعتقد أنني أعيش داخل شخصيات قصصي القصيرة، وبالتحديد، داخل مطاوع، الفتى البدين، بالعوينات السميكة، والبلوفر الكحلي بأكمام "مِنَسِّلة" من أثر العض عليها دون قصد.

يخبرني مطاوع في كل مرة أخرجه من حجرته الضيقة تحت سلم بيتنا في كرداسة بأنه يعلم جيدًا، أنني أكرهه.

يخبرني مطاوع بأنه يعلم أنني أحاول التخلص من الذكريات القديمة كلها دفعة واحدة، عبر فضحها وحكيها وإخبار الجميع بها.

يخبرني مطاوع أن الحكي الذي أمارسه كل ليلة، يسيء له كثيرًا، وأنني أقسو عليه حتى كدت أقتله أكثر من مرة أثناء حكيي.

لا يعلم مطاوع أنني أراهن عليه هو وحده.

لا يعلم شيئًا عن الهروب.

سأخبره وأخبركم هذه المرة.

عندي حلم جديد، دائمًا نقول أن لدينا أحلام قديمة، لكني هذه المرة أحلم حلمًا جديدًا، لم أكن أتخيل أني سأحلم به يومًا ما.

أحلم بأني أترك ورائي كل شيء، أي شيء، وأهرب.

أكون في طريق عودتي من العمل إلى المنزل، ثم أقرر فجأة أنني تعبت من المسير في هذا الطريق، وأني بحاجة إلى راحة طويلة.

أنام بجوار الرصيف، وأستقل قطار الفجر المتجه إلى الصعيد، وأنزل في بني سويف.

ليست بني سويف على وجه التحديد، ربما الواسطي، أو مغاغة، أو قوص أو قفط.

أحد تلك المراكز الصغيرة التي لا تشغل بال أحد، التي يصلها الإنترنت بصعوبة، ويعلمون بالكاد أن هناك قناة جديدة على الدِّش اسمها "الجزيرة".. لا أتهكَّم هنا على الإطلاق.. إن حاول أحدهم أن يدافع عن قريته ويقول إن قفط أصبحت متحضرة، وأنهم يعرفون "الجزيرة" منذ سنوات، فسأبدي له أسفي على ذلك، فلا زلت أتمنى أن أجد مكانًا يحتفظ لنفسه بمسافة بينه وبين العالم.. ولا أدري لماذا أقيس علاقة الناس بالعالم، بمدى علمهم بأمر قناة الجزيرة.

على كل حال، سأنزل في المحطة التي تروقني، سأترك قبل ركوبي القطار كل شيء، حقيبة اللاب توب، وساعتي، ودبلة زواجي، والبطاقة، كما سأتبرع بالعشرة جنيهات القديمة التي أحوشها منذ عام في طيات محفظتي الجلدية.

أركب القطار، وأزوغ من الكمسري، الذي سيمسكني فجأة، وسيصر على تسجيل محضر تهرب لي، لكني سأقفز في أقرب محطة، وتبدأ رحلة هروبي.

أصل هناك عند الظهر.. وأشعر بالجوع، فأقرر البحث عن عمل مناسب، أراني في حلمي أعمل فرّانًا.. أو إن شئت الدقة، صبي فران.

أقف أمام الفرن، أستقبل الخبز على صدري، يلهبني البخار الساخن، وتصيبني لسعة كل دقيقة.

سيشفق صاحب الفرن على الصبي البدين الذي هو أنا، ويسمح له بالمبيت بجوار الفرن في المساء.

سأكسب ٥٠ جنيهًا في الأسبوع، وسأشتري بلوفر بني بعد شهرين، وسأعرف الطريق إلى الاستحمام في حمام الجامع الكبير.

لن أهتم كثيرًا بمعرفة إن كان هناك من يهتم بالبحث عني بعد هروبي، لم أهتم بمعرفة ماذا فعل هؤلاء بعد اختفائي، سأهتم فقط بالتأكد من أن مكاني الجديد لا يسمح لهم بالوصول إلي أبدًا.

لن أجلس على أي مقهى، حالتي المادية لا تسمح، لكني سأدفع لزملاء الفرن عشرة جنيهات، هي نصيبي في ثمن الشيشة التي سنشتريها مشاركة، لصنع جلسة أنس كل ليلة.

سأخبر الجميع أنني لا أجيد القراءة والكتابة، وسيعرفوني جميعًا باسم "مطاوع" هو الاسم الذي اخترته لنفسي، والذي عرفت الطريق إليه في الغرفة الضيقة، أسفل سلم منزل كرداسة.

في المرة الأخيرة التي ذهبت إلى المنزل، لاحظت أن الغرفة قد هدمت، وفهمت أن مطاوع عرف طريقه إلى العالم المفتوح، هو الآن مثلي، بدأ يعرف الأشياء المهمة، بالتأكيد أصبح مطاوع يمتلك دِشًّا يسمح له بمشاهدة الجزيرة.

لن أسمح لمطاوع أن يصبح مثلي، وحتى إن فعل، فسأعود أنا لأؤدى دوره المهم في هذا العالم.

إن كان مطاوع اختار الخروج إلى الدنيا، فسأختار أنا الهروب، أصيب نفسي بفقدان ذاكرة دائم، أنسى حياتي السابقة/ الحالية. وأنطلق إلى عالم جديد.. يتكون من الفرن، والشيشة والبلوفر، وحمام المسجد الذي أتحمم فيه كل أسبوع مرة.

لا أعرف إن كان الحلم ينتهي بأني سأعود مرة أخرى إلى الحياة السابقة، أقابل هؤلاء الذين عرفتهم، وأخبرهم بأنني لا زلت على قيد الحياة، وأن اختفائي المفاجيء كان مجرد هروبًا.

دائمًا ينقطع الحلم قبل النهاية.. دائمًا ينقطع على مشهد الوقوف أمام الفرن وقد أصبحت أكبر قليلًا، وأصبحت هذه المرة ألعب دور الفران، ويلعب فتى بدين آخر دور الصبي.

عيال أخـــلاقية

ماذا يعني أن تكون "عَيِّلًا أخلاقيًا"؟

في وقت مثل هذا، يمكن معرفة العيل الأخلاقي بسهولة، وعبر عدد من الملاحظات الأساسية السهلة، التي تحتاج إلى كثير من الحرص، بحيث لا تخلط بين "العَيِّل" و"المستعيل"، أو بين "الأخلاقي وشخص تربطه بالأخلاق "خلقه الضيِّق".

العيل الأخلاقي يجلس في وسط البلد، على البورصة غالبًا، يحتاج وقتًا طويلًا لمعرفة أن وسط البلد ليست مجرد ممرًّا قصيرًا بجوار البنك المركزي، يربط بين شوارع واسعة لا يعرف اسمها.

جدير بالذكر أنه ظن لفترة طويلة أن ممر "البورصة" ضيِّقًا، وغير مطروق، ويكاد يضفي على الجالسين فيه صفات "غير أخلاقية" مشبوهة، لكن بمروره مصادفة بـ"أفتر إيت" – دون أن تكون لديه نية مبيتة لذلك المرور، أدرك الفتى رحابة "البورصة" وسعتها، وكونها لا تزال تسمح لتسعة من زملاء العمل بالجلوس في حلقة كانوا يظنون أنها ضيقة، حتى عرف ما معنى أن تكون في وسط البلد مقاهي تحمل اسم "الخُن أو "التكعيبة"

"الأخلاقي يشتري الجرائد في طبعاتها المسائية كل ليلة، ويجلس في ركن مضيء ويقرأ باهتمام، دون تعليقات ربما، تحسُّبًا لأن

يكون بين الجالسين زميلة جديدة، يمكن خدش حيائها بألفاظ نابية تنتمي للغة الثلاثة أحرف.

وحين نتحدث عن شراء الجرائد، فإننا نقصدها كلها، اليومية بالتحديد، المصري والدستور والبديل بترتيب التصفُّح، ثم "الشروق" لكونها الأحدث، واصل الأخلاقي شراء البديل في وقت لم يكن صحفيي البديل يعرفون فيه إن كانت جريدتهم طبعت هذا المساء، بقناعة تامة أن الطباعة لا يشترط أن ينبني عليها توزيع.. الأخلاقي يؤمن بالقضية بعنف، يقسم باسم خالد البلشي أن الجريدة تستحق أن تُشترى، وقد صدقه بعض الزملاء غير الأخلاقيون بعدما لاحظوا ارتفاعًا ملحوظًا في مستوى الجريدة في الشهور الأخيرة.. جدير بالذكر أن بعض الأخلاقيين يعملون أصلًا في جريدة البديل.

والأخلاقي يواظب على الصلاة، هو لا يعرف على وجه التحديد كيف يمكن المحافظة على الصلاة وسب الدين في الوقت ذاته.. لكن المسجد متوسط الحجم في نهاية ممر البورصة يسمح بأداء الصلوات في الأوقات المستقطعة بين فقرات سب الدين المسائية اليومية مع زملائه غير الأخلاقيين جلساء البورصة.

والأخلاقي يأكل من "القَزَّاز"، يطلب "كبدة بانية" و"شوربة عدس بالزبدة" و"بوم فريت"، ويجلس للأكل برأس منخفضة تجاه الأرض، فهو لا يزال متذكِّرًا لنص ديني قديم – على الغالب حديث شريف – يذكر فيه المجاهر بالأكل بكونه غير أهل للثقة أو الشهادة في المحاكم.

والأخلاقي لا يقبِّل الزميلات، لكنه يعرف جيدًا ما يستطيع أن يفعله مع كل واحدة منهن، يعلم حدود اتساع "أفق" كل زميلة – هو يسميه أفق، لكن زملاءه غير الأخلاقيين يطلقون عليه أسماء أخرى.

الأخلاقي يعرف أن "سعاد" قد تصحبه للمنزل (منزلها بالطبع)، وأن "سناء" ترغب فيه "عاطفيًّا فقط"، وأن "سارة" لا تهتم له قدر اهتمامها بالمنصب الذي يشغله في الموقع الإليكتروني الذي يعمل به محررًا أو ما شابه.. هو يعرف كل هذا وأكثر، لكنه يفضل أن يتزوج من فتاة لا يبدأ اسمها بحرف السين، وأن تكون محجبة أو من أسرة متدينة "غير إخوانية".

والأخلاقي يحظى بصداقات مع الجميع، عفوًا، لا يمكن أن نسمي تلك العلاقات صداقات، يمكن فقط أن نقول أن الغرباء قد يجدون

فيه بعض اللطف، باعتبار أنه لا يدخن السجائر، ولا يقبِّل الفتيات، ولا يصدر شخيرًا متواصلًا بسبب وبدون.

والأخلاقي لا يشرب، لا يرقص، لا يرتدي سلسلة ذهبية في عنقه لا يلبس البوكسر ولا يرتدي حذائًا أحمر ولا شرابًا قصيرًا ولا جينزًا ساقطًا. كما أنه يرتدتي نضارة، ويضع جيل على شعره، ويسرحه كل يوم، ويقصه كل شهر ويحلق ذقنه كل أسبوع.. أغلب الأخلاقيين يذهبون للحلاق بانتظام.. ويهتمون لأمر أنفسهم.

والأخلاقي يستخدم المعطِّرات، ويضع مزيلًا للعرق، ويتردد في مواجهة صديقه – غير الأخلاقي – بفظاعة الرائحة القادمة مما بين رجليه، وتحت إبطيه.

والأخلاقي يحمل كاميرا الديجيتال، ولديه مدوَّنة، ويذهب إلى ساقية الصاوي، ويستمع لفرقة اسكندريلا، ويحفظ بعض أغنيات فيروز كراوية، ويشتري شريط وجيه عزيز، ويحمِّل أغنيات سعاد ماسي مِن مواقع الإنترنت.

والأخلاقي يشاهد أفلام الأوسكار، ويدخل للسينما بانتظام، ويحب محمد سعد، ولا يجد في دخول "مبروك أبو العلمين حمودة" أمرًا مشينًا.

والأخلاقي بدين، لا يرتدي سلسلة ذهبية، ولا حظّاظة بلاستيكية، ولا تلاحقه الشائعات، ولا تدور شبهات حول كونه شاذًّا جنسيًّا أو مدمنًا للحشيش.

والأخلاقي مندهش، يستمع للجميع، ويحتفظ لنفسه بتعليقات ختامية يفرغها بينه وبين نفسه في حمام بيتهم السيراميكي، ويسأل نفسه عما إذا كانت الحياة بالشكل الأخلاقي هي الأنسب فعلًا في مكان مثل وسط البلد؟

والأخلاقي يجيب على الأسئلة بأجوبتها، لم يحدث أن سئل أخلاقي عن حاله فقال: "بحاول أكون كويس"، أو "بعافر مع الدنيا"، أو "اقرأ لميلان كونديرا وأشعر بخفة كائني الذي أوشك أن يطير تلك الإجابات لا تناسب شابًّا أخلاقيًّا أصيلًا.. يجيب بواحدة من إجابتين.. "كويس" أو "زعلان شوية".. وتنتهي الإجابة طالما لم توجه إليه المزيد من الأسئلة.

وهو يستخدم الفيس بوك معظم الوقت، ويغير في حالته كل يوم، مستخدمًا أجزاء من أبيات شعرية معروفة، أو كوبلية في أغنية شعبية، أو إفيه بفيلم كوميدي.. لم يغير الأخلاقي اسمه على فيس بوك للعربي، يفضله إنجليزيًّا، ويضع صورًا لنفسه مع أصدقائه

وعائلته، لكنه يحذف صورة له التقطتها أخته له، وهو يحتضن دبوب.. فالأخلاقي ليس بيضاويًا، ولن يكون.

والأخلاقي يحترم الجميع، ويقرأ لكل من يكتب، ويكتب لكل من يقرأ، ولديه وسواس من أن يظهر اسمه في قائمة مواقع "بيسو"، أو يسب أحدهم أمه في تعليقات مدونته.

والأخلاقيون – بشكل عام – يتناقصون.. وعن نفسي فقد كنت لفترة طويلة أخلاقيًا، أو أوشك أن أكون.

وهذه السطور التي أهديها لصديقة اسمها ليلى أرمن، وصديق آخر اسمه فهمي، ولصنَّاع فيلم اسمه "أنا ومارلي".. رسالة، لكل الأخلاقيين.. بأني لم أعد منهم.

مفاتيح القراءة:

- جميع الأحداث لا تمت للواقع بصلة.. وأي تشابه بينها وبين الواقع فهو من قبيل.. "إن راح منك يا عين.. هيروح من قلبي فين".
- نظرًا لطول السطور التالية.. يمكن التأكيد على أن البعض لن يفقد الكثير حال تجاوزها وعدم البدء في قراءتها.
- للقارئ ضعيف الملاحظة.. "العامل البدين".. هو أنا!

(١)

كانت لدينا ماكينة للحفر.. وكنا جميعًا نعمل على ظهرها.

يحتاج المشهد إلى وصف تفصيلي.

الجبل السحري الضخم.. الذي إذا انكسرت منه قطعة.. يعود مكان الكسر كما كان، تعاونًا جميعًا.. وحملنا ماكينة الحفر الجديدة لنضعها في مواجهة الجبل.. ونبدأ العمل.

الحق يقال.. "المعلم" هو صاحب الفكرة.. يمكن أن تقرأ الكلمة بشكلين.. المُعلِّم.. المدرس الأستاذ القائد.. والمَعَلِّم. صاحب المحل و"الأسطى و"الصنايعي الأكبر.

كنا ننظر إليه فنهدأ.. نراقب حركاته وأفعاله فنتعلم.. كان مشهد جلوسه على مقعد قيادة الماكينة، وإدارته للمحرك.. خلابًا بما يكفي ليقتل داخلنا أي شعور بالغيرة أو التطلع أو الحسد.

لم يكن "المعلم" قدّيسًا ولا صوفيًّا زاهدًا.. كان معلمًا بقدر ما يمكن لمعلم أن يكون.. وكنا – عمال الحفر – نكره القديسين بطبعنا، ولا نصدق أصحاب النفوس الزاهدة، ولعل هذا ما جعلنا جميعًا نؤكد، في البداية، أن العلاقة علاقة عمل، وأن الصداقة التي تربطنا بمعلمنا شيء ومصلحة العمل شيء آخر. فرق كبير بين موقع حفر في مواجهة جبل، وموقع مقهى بجوار ترعة حيث نحب التدخين.

ما الذي يستحق أن يوصف في المشهد إذن؟ أقول لك وأخبرك بداية أني العامل البدين، عادة ما تجدني جالسًا على ظهر ماكينة الحفر، كانت مهمتي، الكبيرة الصغيرة، أن أواظب على مسح الزجاج الخلفي للماكينة من غبار الحفر، وفي بداية العمل، لا أخفي أني أبديت تذمري واعتراضي، حين نظرت لمهنتي كونها أبسط من أن يتفرغ لها بدين مثلي، لكن جلسة هادئة مع "معلمي على المقهى، أخبرني فيها بأهمية موقعي وخصوصيته، غيرت نظرتي للأمور، وأكسبتني طموحًا واسعًا، في أن أكون مع الأيام

أفضل من يمسح الزجاج الخلفي لماكينات الحفر.. وهو أمر لم ولن يحدث.

يبدأ الحفر في منتصف اليوم.. لم نكن عمالًا ناشطين.. كان يروق لنا أن نأخذ قهوة صباحية في طريقنا للعمل.. نتوقف قليلًا في الطريق بين بيوتنا في أطراف القرية، والجبل على ضفاف النيل قرب وسط المدينة.. نشرب القهوة وندخن السجائر، نقرأ الجرائد ونتبادل أخبار الليلة الماضية، نناقش ما عرضته الفضائيات، ويمكن أن يأخذ كل عامل حظه في سرد أهم ما جاء بخناقته الليلية مع زوجته. كانت همومنا مشتركة، وأفراحنا أيضًا.. كنا نتفق سريعًا – قبل القيام واستئناف الطريق إلى العمل – على خطط السهرة. كنا نقدس السرمحة، ولا زلنا. لولا أن بعضنا سيكرهها حين يدرك – بمرور الوقت – أن عشقه للسرمحة في حقيقة الأمر كان عشقًا لصحبة العمال والمعلم.. ويا لها من صحبة!!

نصل للجبل ويبدأ الحفر.. لماذا كنا نحفر أصلًا؟ ستطرح هذا السؤال على العامل البدين حين ترانا نحفر بتراخي واستمتاع.. ستدرك أن هذا لا يمكن أن يكون أداء عمال في محجر أو جبل حقيقي.. ستفهم أن في الأمر خدعة ما.. وسأجيبك بكلمة واحدة:

"المعلم هو وحده علمنا الحفر باستمتاع وانسجام وتلذُّذ.. قال، فيما قال من حكم وأقوال ومواعظ طيبة: "يا شباب.. العمال في العالم كله يحفرون ويكسبون قوت يومهم بما حفرت فئوسهم.. لكنا يا شباب لسنا عمالًا عاديين.. نحفر لأننا نحب الحفر، لا تفرحوا إن غادرتم الجبل وقد تركتم فيه حفرة واسعة.. افرحوا فقط بالحُفَر الصغيرة الجميلة.. الحُفَر الكبيرة سيئة المنظر وقبيحة.. وهي تؤذي الجبل وتهدد بانهياره، احفروا برفق.. ارفقوا بأنفسكم وبالجبل.. وابتسموا حين الحفر.. فإني أحب ضحكاتكم

أخبرك بسر.. بكيت بعد كلام "المعلم" بحرقة، وآمنت به، وبماكينة حفره، كانت لدي أمنياتي الخاصة، شأن كل البُدَناء.. لكني، وبعد خطبتين أو ثلاثة من المعلم، تصالحت مع طموحي، واخترت أن أكون مجرد عامل بدين على ماكينة حفر تحمل اسم المعلم وصورته.. تصالحت مع نفسي.. ورضيت بأن أهب نجاحي لمعلمي.. وقررت أن حياة كالتي رأيتها بين دموعي بعد الخطبة تليق ببدين مثلي.. ومسحت زجاج الماكينة باهتمام، واختلطت دموعي بغبار الجبل، وشممت رائحتها للمرة الأولى.

(٢)

ينتهي الحفر عند الثامنة.. هذا يعني أن ساعات العمل الرسمية كانت ستة أو سبعة.. مع حساب استراحات الشاي وصلاتي العصر والمغرب.

يجتمع الجميع فور انتهاء العمل، يختار كل عامل منا قطعة من الحجارة المكسورة ويعرضها على المعلم، فيقلبها المعلم بين يديه.. ويبدي ملاحظاته القصيرة.. طوال عملي مع المعلم لم يستحسن قطعة حجر أو يثني على عامل، لكن والحق يقال، فقد كان يمتنع عن إبداء الملاحظات السيئة أو توبيخ عامل على اختياره قطعة غير مناسبة، كان المعلم يرضى.. وحدثنا في طريق نزولنا من الجبل، عن كون الرضا نعمة.. وعن أحلامه أن تصبح ماكينة الحفر واحدة واثنين وثلاثة.. ويرى كل عامل منا يجلس على مقعد قيادة مثله.. وكنا نفرح بالأحلام، ونتغذى عليها.. كنا نأكل الأحلام والحجارة، فنشبع ونبتهج، لم نكن نرى في الحجارة خشونة ولا في الأحلام ميوعة.. كنا نشبع، ونأخذ للبيت ما يكفي عيالنا. وصفت ماكينة حفرنا بالـ"جنة" وشبه أحدهم فريقنا بالنادي الأهلي.. ورأينا جميعًا في المعلم شخص "أبو تريكة".

تعلمنا أشياء كثيرة.. راقبنا ماكينات الحفر الأخرى، تمنينا لها التوفيق، لكنا سخرنا منها في الوقت ذاته.. كنا نرى الجميع يحفرون بطريقة خاطئة.. علمنا المعلم، وسنعرف بعد مرور الوقت قيمة ما تعلمناه، أن إبداء الملاحظات أمر مطلوب، وأن النقد نعمة مثل الرضا، وأن موهبة التقاط الزوايا والصور، هي ما يميز فريقنا المتماسك.

هل قلت متماسكًا؟ امنحني لحظة للتفكير... نعم متماسك.. ومتماسك جدًّا. تحدثني عن خلافات العمال بينهم وبين بعض.. تحدثني عن صوتي العالي الذي يتزامن مع الحفر.. أنا أقول لك... كل العمال إخوة.. والخلاف حول الحفر يا صديقي.. حول تجويد العمل وتكسير عدد أكبر من الحجارة.. ثم أسألك: هل علا صوتي على صوت الماكينة؟ هل توقف الحفر بسبب الخلاف؟ لم ولن يحدث.

كان المقهى في المساء ساحة لقتل أي فتنة.. لم تتشكل قلوبنا بأشكال الحجارة.. تعرف.. وهو سر سأخبرك به أنت وحدك.. تعاهدني.. تمام.. كنا جميعًا نبكي في لحظات الضيق.. نبكي.. نحن عمال الحفر الأشداء الأقوياء، نبكي كأطفال رُضَّع.. ونمسح

دموع بعضنا.. الحفر علمنا أن الحياة تستحق.. وأن توقف الحفر لحظة.. سيجعله قابلًا للتوقف دائمًا.

(٣)

وجاء من أقصى المدينة سيد يسعى..

نعرفه بهذا الاسم.. "السيد" برداء رسمي غامق اللون.. وابتسامة صفراء مستمرة، وبكلمة "حبيبي يلقيها على الجميع.. وبأسماء دلع لكل الموجودين.. جاء يسلم على المعلم لعلاقة صداقة قديمة بينهما.. وتشاءمنا جميعًا لدخول رجل بملابس رسمية مكان الحفر.. وجلوسه قرب ماكينتنا.. وزاد تشاؤمنا حين اعتذر المعلم عن قهوة المساء وجلسة التدخين.. فسيذهب مع صديقه القديم لمناقشة بعض الأفكار الخاصة بتطوير العمل.

صباح اليوم التالي كان المعلم يخبرنا بأن السيد سيصبح شريكًا له في مشروع استثماري كبير بجوار ماكينة الحفر، وأنه – المعلم – يشعر بقدر من التعب، وأن صديقه سيأتي لإضافة بعض الأفكار التطويرية على أسلوب حفرنا، للحصول على "أفضل إنتاج يومي ونسينا جميعًا يومها كلام المعلم القديم عن الاستمتاع بالعمل، والتلذذ بالحفر لأجل الحفر.. والترفق بالجبل وبأنفسنا.

صباح يوم تالٍ، وبعد زيارات مستمرة من جانب السيد المحترم.. كلها بالملابس الرسمية الغامقة.. تم تحديد ليلة الخميس للجلوس في المكتب – وليس المقهى – لعرض ملاحظات السيد التطويرية.. وسأخبرك بصراحة أني فكرت صباح الثلاثاء في مراجعة الطبيب النفسي بعد أن داهمتني كوابيس متتالية أرى فيها السيد يخلع رداءه الرسمي، يضربني بقوة ويهتك عرضي وهو يبتسم ذات ابتسامته الصفراء الواسعة، ويقول: "يا حبيبي أنا بس بَطَوَّر أداءك".

(٤)

وقوف العمال فوق ظهر الماكينة يلوث البيئة.. ومهامهم بسيطة ولا تتناسب مع أجورهم.. ويمكن للماكينة أن تعمل دون أن يكون زجاجها الخلفي ممسوحًا.. وسيتم ربط الأجور بحجم ما يتم تكسيره من حجارة.. لا توجد منحة شهرية ولا سنوية.. ولا زيادة في الأجور.. ممنوع الضحك أثناء العمل.. ونحن في أزمة مالية عالمية.. الكل مهدد بالرحيل.. وأداء الجميع من سيئ إلى أسوأ.
تلك ملاحظات السيد.. فيما كان لديه قرار واحد.. ينزل العمال من أعلى الماكينة.. ويحضرون فؤوسًا من بيوتهم، ويحفر كل

عامل بجوار الماكينة، وتحفر الماكينة أيضًا بحيث يتضاعف الإنتاج، ويصبح لكل عامل "ماكينة حفر صغيرة". تنتج قطعًا أكثر من الحجارة. ونقضي على تلوث البيئة.

لعلمك.. إن سألتني عن علاقة تلوث البيئة بوقوفنا السابق أعلى ماكينة الحفر، فسأزورك في أحلامك ليلًا.. وأطور أداءك.. طبعًا لا أعرف العلاقة.. وظنّي أنه لا توجد علاقة أساسًا.. لكن السيد كان يأتي في الأيام الأولى وفي يده مجلد ضخم بغلاف أزرق، مكتوب بالإنجليزية.. كان يفتحه ويقرأ.. ثم يملي علينا قراراته.. فهمنا وقتها أن الكتاب ربما يحوي نصائح إدارية مهمة.. ثم أخبرنا عامل زميل، بعد شهور، أنه دخل لغرفة السيد خلسة.. وفتح الكتاب، وأكتشف أنه دليل قديم لهواتف المدينة.

لم يعترض أحد.. ثواني، اسحب ابتسامتك الحمقاء.. ستقول إن عدم اعتراضنا هو السبب.. لا يا فالح.. السبب هو اختيار يوم الخميس للإعلان عن كل هذا.. ويوم الخميس إن لم أكن أخبرتك من قبل، هو موعد نزهتنا الأسبوعية برفقة المعلم. يولع السيد إذن وكتابه وقراراته وملاحظاته. ولنمنح قلوبنا قليلًا من الفرح والبهجة.. وصباح الأحد ليس ببعيد.

(٥)

"تعرف تعد لغاية كام؟".. سألني المعلم. فجذبت نفسًا من سيجاري ونظرت له أخبره أني "مش هرد". يعلم المعلم أن لساني ينعقد أمامه. وأن كلامه أهم من أن يقاطعه عامل بدين مثلي.

كنا نجلس على المقهى صباح السبت. وهو يوم عطلة. حدثته عن قرارات السيد. وكان على علم بها. وسألني سؤاله عن العد. ثم أضاف: "أنت عارف السيد بيوفر لي كام في الشهر بقراراته دي؟". ثم قال رقمًا كبيرًا.. أكبر من أن أستوعبه. ثم سحب عدة أنفاس متتالية من سيجارته. وقال كلامًا كثيرًا مفاده النهائي أن علي أن أنصرف مبكرًا من مكان جلوسنا. فالسيد على وشك الوصول. ويفضل ألا يراني. كما أن علي أن أنام مبكرًا بعد أن أجهز فأسي لأن "الحفر الفردي" سيبدأ في الصباح.

بمرور الأسبوع الأول حدث التالي. توقفت عن التدخين. وصرت أنام مبكرًا ففقدت سهرات المعلم. وتم تسريح عشرة من العمال. وبناء كشك خشبي للسيد وحصل على لقب مدير الموقع. ازداد شكل قطع الحجارة سوءًا، لكن المعلم. الذي كان يحفر بالماكينة وحده. كان سعيدًا أكثر، وقد حاولت الاستمرار أكثر لرؤيته أكثر سعادة.

صوت الماكينة كان أهدأ. ولأول مرة. سيعلو صوتنا على صوتها. بنهاية يوم الخميس. أدركت أن طموحي القديم بدأ يؤلمني. وأني لست سجينًا كي أحفر بهذه الطريقة. وسمعت تغيرًا في صوت محرك ماكينة المعلم. وتداخلت الأصوات والصور في رأسي. سقطت على الأرض. وكان السيد قد أوقف التعامل مع شركة التأمين الصحي توفيرًا للنفقات. وسيكتشف المعلم. أن ما حدث مع شركة التأمين جرى مع ورشة صيانة الماكينة.

(٦)

في سحور رمضاني يسألني عامل سابق. لماذا توقفت عن الحفر؟ فأجيبه بأني لم أخلق لأحفر بهذه الطريقة. وأني فقدت متعتي. يقول، ولماذا توقف المعلم رغم أن لديه ماكينته. أخبره أن الماكينة كانت تأنس لوجودنا على ظهرها. وأن محركها كان ضعيفًا وكان حملنا الثقيل يمنعه من التوقف. وأن المعلم نفسه أخبرني ذات مرة. حين اعترضت على تفاهة دوري. بعيب خطير في المحرك يجعل لوقوفي في مكاني وأنا البدين الثقيل أهمية خاصة.

أفتح علبة الزبادي وأفرغ ما بها من مياة في طبق مجاور. ثم أضيف: "كنا نعمل معه.. فأصبحنا نعمل لديه.. لم يفهم أن حبنا له.. هو ما جعلنا نحتمل"..

ينظر زميلي في ساعته ويتأكد من أن الوقت لا زال مبكرًا قبل أذان الفجر. ويسأل: أخبار ماكينتك الجديدة إيه؟ يعلم أني اشتريت واحدة وأقودها بنفسي.

أخلع نظارتي. أفرك عيوني من التعب.. أجذب شعرة بيضاء ظهرت بين خصلات شعري. أقول: "لسه بدري على ما أكون معلم.. المعلم معلم يا صديقي

كان الفجر قد أذَّن. وافترقنا أنا والعامل السابق صديقي.. مررت على الجبل قبل الذهاب للمنزل. لمست ماكينة الحفر القديمة. صعدت وجلست مكان وقوفي القديم.. مسحت الزجاج الخلفي.. بكيت.. وأخبرتها بسري الخاص..

"المعلم وحشني قوي".

(٧)

توقف الحفر.

فجلسنا جميعًا نحافظ على البيئة.

٤
عن الأب والأم، والحب والموت

عندما انتهيت من كتابة روايتي الأولى – التي لم تنشر في أي مكان – كانت تنقصني الثقة – ولا زالت؛ بحيث طبعت ما كتبت، ووضعت مخطوطة أولية للرواية على مكتبه.

بعد ساعتين، وجدت المخطوطة في غرفتي وعلى غلافها ورقة صفراء مربعة صغيرة، كتب عليها بخط أسود ثقيل عبارة قصيرة – ويبدو أن صاحبها لم تكن تنقصه الثقة مثلي – تقول "**قرأت حتى الصفحة ٢٦ ولم أفهم أي شيء، فقررت التوقف عن القراءة فورًا**"..

لم أعتبرها إهانة، احتفظت بالورقة الصفراء المربعة في درجي، ولا زالت عندي، أنظر لها قبل كل كتابة، وأقول.. لو أن صاحبها يومًا قرأ كتابي الأول، ووجد قصته معي مكتوبة، فإنها بالتأكيد ستكون في مكان ما يتجاوز الصفحة رقم ٢٦، ووصوله إلى هنا لا يعني أنه قد بدأ يفهم.. بل يؤكد أنني بدأت أكتب ما يروق له.

إرشادات القراءة:

- لا تقرأ إذا كنت حزينًا بما يكفي.
- لا تقرأ إذا كنت سعيدًا بما يكفي.
- لا تقرأ إذا كنت لا تقرأ.

عن سمعان الكلام

تظن ماما أن علينا أن نسمع الكلام، وهي محقة.
يعني، عدد الذين سمعوا الكلام ولم يصابوا بضرر، أكبر من عدد الذين لم يسمعوا الكلام فواجهتهم بعض المطبات السخيفة.
وبحسبة منطقية، فإن كلام "ماما" يبدو معقولاً، بشكل عام أنا أصدق أمي في ظنونها.. أو أجبر نفسي على التصديق.
ذات مرة، ذهب "عبادة" لشراء "الفينو من سوبر ماركت وحيد في قريتنا كان اسمه "ماني"، وأنا لا أعرف سر التسمية، كان "ماني بجوار محل بقالة اسمه "أم مريم"، وهي سيدة مسيحية فاضلة كانت تبيع اللانشون والبيض والجبن، والأشياء التي كانت أمي ترسلنا لشراءها في المساء.
يحكون عن "أم مريم" أنها واجهت بعض السخافات بسبب ديانتها، تقول النكتة أن أحدهم ذهب إلى المحل يسألها "عندك عيش؟"، فردت بتلقاعية أعرفها جيداً "في كايزر"، فرد السائل بحدة "حتى العيش نصرتوه"، وكان أهل قريتنا يتعاملون مع كل ما هو منطوق بغير العربية باعتباره منتج نصراني يستحق المواجهة.
وقد قضيت طفولتي أحلم بمقابلة "مريم"، كان اسمها يوحي بأنها مختلفة، يكفي أنها الفتاة المسيحية الوحيدة التي علمت بوجودها

خلال طفولتي، وأقول علمت بوجودها لأني لم أراها ولو مرة واحدة، كانت "أم مريم" رغم كل شيء، سيدة قروية ترفض أن يلعب الصبية مع بنتها، وكنت أنا أيضاً – وبرغم كل شيء – أمتنع عن اللعب في الشوارع مع أولاد وبنات القرية.

ذهب "عبادة" لشراء "الفينو من عند "ماني"، وقد تأخر قليلاً.. إذا قابلت "عبادة" ذات يوم فستعرف عنه عادة التأخر قليلاً أو كثيراً بحسب ما يحدد هو المدة التي يرغب في تركك تنتظره بها. هذه عادة أخي التي لم يرثها مني، أفضل من ناحيتي الإلتزام بالمواعيد وترك القلق يقتلني بهدوء.

ثم لما تأخر "عبادة"، قالت أمي أنها تظن أن ابنها الأوسط ليس بخير، وأن عليها أن تدفع ببكرها إلى الشارع المظلم، للبحث عن الفتى الذي تأخر، وكان ترتيبي الأول، وكان لقبي "البكري"، وكانت أمي تفضل أن تناديني وهي غاضبة بلقب موزون على اسمي، ولأن مجلس العائلة اتفق على تسمتي "براء"، اختارت أمي أن تحول بيني وبين المصائب التي أكون على وشك ارتكابها بصرخة تحمل اسم "خراء"

هذا لا ينفي أن "عبادة" كان "هبابة"، والحقيقة أن عادة تحويل الأسماء الأصلية إلى شتائم على ذات وزنها لم تكن "ماما"

تمارسها وحدها، زملاء الفصل كانت لديهم شتائم معروفة تلاءم أسمائهم.

نزلت، وقلبي تملأه الثقة من أن "عبادة" ليس بخير فعلاً، "ماما" قالت ذلك، وليس لـ"ماما" أية مصلحة في قول ما هو ليس حقيقياً.

في محل مجاور لـ"ماني"، رأيت "عبادة" يشاهد من هم أكبر سناً منه ومني يلعبون "البيلياردو"، كانت هذه هي المرة الأولى التي نشاهد فيها اللعبة، سرقنا الوقت في الفرجة، وظنت "ماما" أني أيضاً لست بخير، لكن أخانا الذي هو أصغر لم يكن في سن تسمح له بالنزول للبحث عن أخويه، ولأني فهمت بمرور الوقت فلسفة أخي الخاصة – واسمه حمزة – فإني أعتقد أنه لو كان في مقدوره أن يعبر عن وجهة نظره لـ"ماما" التي تشعر بالقلق لقال لها "في داهية"، ودخل يشاهد حلقة "هرقليز الجديدة على القناة الثانية.

على كل حال، لم يستمر الوضع كثيراً، مشينا أنا و"عبادة" في طريق العودة للمنزل نحاول تفسير ما رأيناه في صالة البيلياردو، وكانت وجهة نظرنا أن قريتنا تنهار على يد تحالف رأس المال الذي يجمع "ماني الذي سمح للشباب باللعب، و"أم مريم التي

تبيع الـ"كايزر"، وأمي التي لا تفعل ما هو أكثر من القلق، والاعتقاد بأن علينا أن نسمع الكلام..

أبي يحب أمي ..

مر عام آخر..

واليوم، يكمل أبي وأمي عشرة أعوام كاملة على لقائهما الأخير.

أذكر ذلك اليوم جيدًا، بكل تفاصيله، رغم أنني كنت لا زلت طفلًا صغيرًا، لم يراوح مكانه بعد في الصف الرابع الابتدائي بمدرسة خاصة جيدة، كانت تعرف في قريتنا بأنها مكان أبناء الأسر الأيسر حالًا

لم تأخذ أمي في حقيبتها أي شيء، كانت فقط أختي الصغيرة على كتفها الأيمن، بينما أسدلت الكتف الأيسر في سلام، حيث كانت تعاني من ألم به يتلازم مع كل حركة، مع أن أبي قال إنه لم يلمسها في ذراعها أو يستخدم العنف، وأنا شخصيًا، أصدق كلام أبي، وأصدق أيضًا كدمات أمي.

الذين حضروا إلى البيت في ذلك اليوم، لم يلحظوا أن أمي نسيت أن تلبس نقابها وسط كل هذا، ارتدت الخمار وحده، كانت هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها أمي بهذا الشكل، ومن يومها، لم ترتد هي النقاب أبدًا، كما أني لم أسألها عن السبب في خلعه.

أكره نقاب أمي.. وسأخبركم بالأسباب..

سألت جدتي ذات مرة عن سبب ارتداء أمي – دون نساء العائلة – لهذا الشكل الغريب من الملابس، قالت جدتي إن "أمك حلوة"، لذلك فمن الأفضل ألا يراها الرجال الغرباء..

لكني – وقد كنت طفلًا لا يحسب على الرجال – كنت أحب رؤية وجه أمي في الشارع، ففي أحلامي البسيطة، كان مستقبلي يتلخص في كوني سأتخرج يومًا من الجامعة، وأتزوج فتاة يشبه وجهها وجه أمي، طويلة مثلها، رفيعة مثلها، بيضاء، بابتسامة ساحرة، وحنان جارف.

وكرهت نقاب أمي أيضًا بسبب "سوق الكشافة"، حيث كان من عادة مدرستي، أن تقيم سنويًا سوقًا خيريًا للكشافة، تباع فيه الملابس المستعملة، والأعمال الفنية اليدوية الرخيصة، وبصفتي من الأشبال فقد كنت أشارك، وكانت أمي تحضر بعد إلحاح مني ومن أخي الأصغر.

في المرة الأخيرة التي حضرت فيها أمي، مشيت وراءها طويلًا أحاول اللحاق بها لأناديها، رأيتها وسط الزحام، وحاولت مفاجأتها من الأمام بإلقاء نفسي في حضنها، وقد فعلت، لأكتشف أنها ليست أمي، وأنها والدة طفل آخر، أزعجه كثيرًا أن يرتمي طفل

غيره في حضن أمه، خاصة إن كان هذا الطفل يتمتع بوجه أبيض مستدير، وخدود محمرة.. واسمه مثل اسمي.

لهذا كرهت نقاب أمي، واستمتعت يوم رحيلها برؤية وجهها الأبيض وراء دموعها، وكانت تلك هي المرة الأولى.

رحلت أمي، وبقيت أنا وأخوتي برفقة أبي دون تفكير، فقد أخبرتنا أمنا بما سيحدث قبل ذلك، وبالدور المطلوب منا أدائه، قالت إنها سترحل قريبًا، وإنها ستبدأ البحث عن شقة وعمل، وستأخذنا إلى هناك بأي طريقة، لكن علينا أن نحتمل الأيام التي سنقضيها مع أبي، حتى تنفذ هي وعدها.

وقد فعلنا، رفضنا المغادرة رغم أن خالنا أمرنا بركوب السيارة، صعدنا إلى أعلى، وجلسنا في انتظار عودة أبينا الذي كان لا يزال يواجه خالي بصوت عالٍ أخافنا نحن الصغار.

كانت تلك هي المرة الأخيرة التي يتقابل فيها الزوجان، على الأقل في وجودي، بعد ذلك أخبرتني جدتي لأبي أنهما تقابلا مرة أخرى في مكتب المحامي الذي أنهى إجراءات الطلاق.

كانت هذه هي الطلقة الثالثة، وهو ما جعل كل شيء يمر بهدوء، اتفقا على التفاصيل، وأصبح واضحًا أن كلاهما قد اتخذ قراره النهائي بالانفصال.

والحقيقة أن الانفصال لم يكن القرار الوحيد، فبعد رحيل أمي شهد منزلنا بضعة تغييرات مهمة، دخل التليفزيون الملون إلى المنزل بعد قدوم جدتي للعيش معنا، فقد اشترطت الجدة وجود التليفزيون، وهو ما كان يرفضه أبي قبل ذلك، مكتفيًا بوجود واحد أبيض وأسود قديم أحضرته أمي من بيت جدي بعد أن اشترت جدتي واحدًا جديدًا.

دخلت بعض قطع الأثاث الجديدة، وبضعة سجاجيد، تم شراء غسالة أتوماتيك حديثة، وأخذت أمي القديمة، وبات مفهومًا أن البيت يستعد لقدوم امرأة أخرى، غير أمي وجدتي، وهو ما تأخر قليلًا حتى تمت إجراءات الطلاق وحتى انتهت الامتحانات، وحتى وجد أبي عروسه الجديدة، بديلة أمي.

بعد ثلاثة أشهر سمح لنا أبي برؤية أمنا، ذهبنا للقائها في بيت جدتي، و فهمنا منذ اللحظة الأولى في اللقاء أن وعودها السابقة مستحيلة التحقق، وأنها في حاجة إلى من يحلها من وعدها، وقد فعلنا دون كلام، فلم نسألها عن شيء، واكتفينا بسماعها تخبرنا بأخبارها وبشوقها البالغ لنا.

كانت الدراسة على وشك البداية، وذهبت للمدرسة في أول يوم لأجد أمي هناك، عملت أمي مدرسة في القسم المخصص للبنات

بمدرستي، وهو ما وفر لي لقاءً يوميًّا بها، وحلوى كثيرة تسببت في زيادة وزني بشكل ملحوظ، والأهم، أنني اكتسبت قدرات تمثيلية لا حدود لها

تخيل نفسك طفلًا في الصف الخامس، تنتظر منك أمك أن تخبرها بفظاعة الحياة مع أبيك، وينتظر منك أبيك أن تخبره بمدى بشاعة الإحساس الذي تشعر به وأنت تقابل أمك يوميًّا في "الفسحة" وفوق كل ذلك، فإنك لا تسلم من تعليقات الزملاء الذين يلقبونك بـ"ابن الميس

لكن تعليقات الزملاء هي الشيء الأسهل، فأنت تعلم أن الله يعاقبك على ما كنت تفعله مع "محمد أشرف" زميلك في ٦/٢، فهو الآخر "ابن ميس شريفة"، وقد ساهمت أنت ومن معك في تكدير صفو حياته بتعليقاتكم الجارحة.

مر العام الأول، واختارت أمي أن ترحل عن المدرسة إلى مدرسة أخرى، منهية عذابي في الكذب بالنهار والليل، ومتفهمة ضيقي البالغ من الإجابة على سؤال واحد مرتين في اليوم هو: "عملت إيه مع أبوك/ أمك؟" ثم الرغبة القوية عند الطرفين في أن أخبرهما بما قاله الطرف الآخر عنه.

تزوجت أمي بعد ذلك، وانشغلت أنا في أمور مراهقتي، لكن الباقي في ذاكرتي حتى الآن هو صورة "سناء" الموظفة في شركة أبي، والتي سألتني يومًا ما: "مش تحاول تصلح بينهم؟"، فأخبرتها أنا بما أعتقده: "بابا وماما بيحبوا بعض.. بيحبوا بعض جدًّا.. بس هما لسه محبوش الحياة مع بعض في بيت واحد..

أفكر الآن أن رأيي كان صحيحًا، فأبي يحب أمي، وأمي تحبه.. ولدي أدلة..

تزوجت أمي بعد ذلك من رجل آخر، وتطلقت بسرعة، كذلك تزوج أبي ونجح زواجه، إلا أنني ضبطته مرات عديدة، ينادي زوجته الحالية باسم أمي.

أما أمي، فلا زالت ممتنعة عن الحديث، عن كل ما له علاقة بالماضي، مكتفية بإعطائنا - أنا وإخوتي - بعض الإرشادات والنصائح في حال وقوع مشاكل بيننا وبين أبينا، إنها حقًّا سيدة غريبة، تحتفظ بالكثير داخلها، وإن كتبته يومًا، فسيبكي القلم والأوراق، وسنبكي جميعًا.

أبي يعلن كل يوم كراهيته لأمي، يقسم على ذلك، ورغم أنه امتنع بالفعل عن قول ذلك منذ عامين تقريبًا، إلا أنه لا يزال يرد كل

مصائب الدنيا إليها، معتقدًا أنها السبب في كل الأشياء السيئة التي حدثت في حياته.

لكن أبي يخطئ أحيانًا أمامي، معتقدًا أنني ما زلت صغيرًا، فيقول ما معناه إن أمي ليست السبب، وأن انفصاله عنها كان السبب الحقيقي.

قال لي أبي دومًا إن اليوم سيأتي لأحاسبه فيه على كل ما حدث، وأني سأحاسب أمي كذلك، لكني لم أفعل، فبالنسبة لي، أبي وأمي مراهقين، لا يزالان متوقفان عند المرة الأولى التي التقيا فيها في الجامعة، لا يدركان الفرق بين لقائهما الأول وبين لقائهما الأخير.

كل ما حدث أن الخلاف هذه المرة كان حادًا، بحيث استمر عشر سنوات، وربما يستمر لعشر سنوات أخرى، أو حتى إلى نهاية العمر، لكن الحقيقة، التي أعرفها أنا جيدًا.. أن أبي يحب أمي.. وأمي أيضًا تحبه.. وأنا أحبهما معًا..

رحمـة..

أنتم جميعًا لا تعرفون "رحمة".. لكني أعرفها جيدًا.. وسأحكي لكم عنها..

سأقول لكم في البداية أنني وأنا صغير كنت أعتقد أني لست صبيًّا، كان لدي إحساس بأني فتاة، وأن هناك خطأ ما في المسألة..

السبب في ذلك ليس له علاقة بالـ"جنس"، له علاقة فقط بأني كنت أقلد أمي في كل أشيائها الصغيرة، ولم أبدأ في تقليد أبي إلا في مرحلة ما بعد الإعدادي..

جلسة أمي وطريقة كلامها، انفعالاتها وربما طريقة تفكيرها، وحتى الآن، أكتشف نفسي أفعل أشيائها الصغيرة، وهو اكتشاف يزعجني بقدر ما يدخل على قلبي الفرحة.

ما علاقة هذا بـ"رحمة"، ومن هي "رحمة" أصلًا..

العلاقة أن "رحمة" أيضًا تفعل ذلك، و"رحمة" هي أختي الصغرى، لكنها الأخت الأكبر بين ثلاث بنات يحملن اسم أبي.. وبنت واحدة تحمل اسم رجل آخر.. لكنها تحمل اسم أمي.

عندما لاحظت للمرة الأولى الشبه بين أختي وأمي، لم يشغلني الأمر للحظة، فهي البنت الأولى، و"اقلب القدرة على فمها تطلع البنت لأمها"، لكن كيف أخذت "رحمة" من أمها كل هذه التفاصيل، إذا كانت أصلًا لم تحيَ معها في بيت واحد إلا عامين أو ثلاثة لتنتقل بعدها للعيش في بيت أبي، حيث أنا وأخوين آخرين، وأم أخرى هي في الواقع زوجة أبيها..

بمزيد من التفكير، عرفت أنني السبب، فالفتاة الصغيرة عرفت أمها من أخيها الأكبر، في حين كان هذا الأخ لا يزال يلاحظ أنه يشبه أمه في كل تفاصيلها..

عن "رحمة" أحكي لكم.. عن أختي الصغرى التي تشبهني..

عن الفتاة البدينة الجميلة، المليئة بالطيبة، والتي تعرف أن الله وضع لها في جسدها أشياء أكثر من تلك التي وضعها لصديقاتها الرفيعات، وهي تعلم أن "ربنا ما بيعملش حاجة وحشة"، وأنها حكمة منه ستفهمها "بعدين".

تعلم "رحمة" أنها ستحقق معجزة ما، تمامًا كأخيها الأكبر، فهو في سنها، كان لا يزال معتادًا على النظر لأسفل، والبكاء في حضن المخدة كل مساء، والشكوى إلى الله من أفعال "الكبار ..

كان لا يزال يجلس على مائدة الطعام وظهره مقوس، حتى ينفرد بضربة من يد العم الصغير، وصرخة بأن "إفرد ضهرك، هيطلعلك قتب"..

كان لا يزال يتلقى تعليمات الذين هم أكبر سنًا، وينفذ بهدوء، مطلِقًا لعقله العنان، سارحًا في صورة واحدة، المسدس الصغير سهل الاستخدام، وهؤلاء الكبار في صف واحد، ثم خطبة طويلة، فيها تذكير بكل الخطايا، ثم إعلان للعفو التام، بشرط واحد، أن يتركوه يرحل وحيدًا عنهم، بدراجته فقط، وكيس من ساندوتشات "الجبنة بالقوطة" التي يكرهها.

كان لا يزال عاجزًا عن إتقان أي عمل من أعمال النظافة في المنزل، فبغض النظر عن رفضه للفكرة باعتباره رجلًا، فقد كان سرحانه الدائم يفسد أي عملية تنظيف، حتى تنظيف جسده بنفسه، فشل فيه لفترة حتى تعمله بصعوبة بعد ذلك.

كان لا يزال – ولا يزال – يدمن الجلوس أمام التليفزيون، يشاهد الأفلام العربية القديمة، والأجنبية الحديثة، ويغمض عينه ليحلم بعمله بعد سنوات كمؤلف شاب يصنع عشرات الأفلام التي تحكي للعالم عن طفولته ومراهقته القاسية.

كان لا يزال – ولا يزال – يعجز عن سماع أي صوت غير صوت التلفزيون أثناء المشاهدة، يعجز عن التركيز في أوامر الأب والعم والجدة والأم وزوجة الأب والإخوة الصغار.

كان يخبر الكبار بحلمه الشخصي في دراسة الإعلام والعمل صحفيًا، ويتألم لضحكاتهم المصحوبة بكلمات مشجعة من نوعية "إتلهي على عينك"، و"اجري إلعب بعيد"، و"عملت إيه أنت عشان تبقى صحفي

كان لا يزال يقف في معسكرات الكشافة، لحظة تقسيم الفرق، يبكي دون أن يراه أحد، فهو "الشبل" الوحيد الباقي دون أن يختاره أحد القادة في فرقته، والسبب أنه لا يجيد لعب كرة القدم، لكنه في الوقت ذاته يرفض "الوقوف جون

كان لا يزال يدمن الصمت، وكانت متعته الوحيدة المتعلقة بالكلام تقتصر على صناعة أصوات غريبة ليلًا، حين يرسله أحد الكبار لشراء "بجنيه عيش فينو من الفرن، وكيلو لبن من عند محل العمة زينب"، يصنع تلك الأصوات بقوة، ويجري دون أن يلحظه أحد، متخيلًا نفسه نجح بالفرار بالدراجة وكيس الساندوتشات، وباقي العشرة جنيه القادرة على سد احتياجاته ليومين ثلاثة حتى يجد عملًا مناسبًا في أحد مطاعم الفول والطعمية.

لكن العشرة جنيه تسقط من يده دون أن يلحظ، فيقرر تمزيق جيب البنطلون، ويخبر الكبار في البيت بأن هذا لاثقب هو السبب، لكنه لا يفلت من العقاب القاسي، ولهذا، فإن بناطيل الأخ الأكبر كلها، بجيوب مثقوبة.

لكن هذا الأخ الأكبر حقق معجزته، نجا من كل ذلك فجأة، ترك مدرسته القديمة، وانتقل لأخرى قريبة من المنزل، وفيها عرف الطريق إلى "ميكروفون الإذاعة"، وجماعة الصحافة، وحلقات المناظرة، وفريق المسرح، وكلها أشياء تصنع معجزات.

أدرك الأخ الأكبر وقتها أن ما كان يفعله كان يستحق العناء، كل الكتب التي قرأها خلسة في أوقات المذاكرة أتى الوقت للاستفادة منها وتحقيق ما تعلمه من سطورها..

سيأخذ خطوته الأولى كسيناريست حين يكتب لمسرح المدرسة مسرحيات قصيرة وساذجة تحمل اسم "السلمة المكسورة" و"الأرض هي الأم"، وذلك في إطار احتفال المدرسة بـ"الإسراء والمعراج" و"عيد الأم".

سيفعل أشياء لم يكن يتخيلها، سيحظى ببعض الأصدقاء، وسيتنافس زملاؤه في الفصل على الجلوس بجواره، فهو يلقي

النكات الجميلة، يكتب الشعر الرومانسي، وإن كان لا يجيد لعب كرة القدم، ولا يزال يرفض "الوقوف جون".

رحمة الآن، تعيش تجربة الأخ الأكبر السابقة، تفعل كل ما كان يفعله، ويحدث لها كل ما كان يحدث له، لكن الله يعطي لرحمة أشياء أخرى لم يعطها لهذا الأخ.

رحمة الآن تقرأ "هاري بوتر وأسطورة سجين أزبكان"، في حين كان الأخ الأكبر يقرأ في سنها "البوابة السوداء" و"سراديب الشيطان وبينما تبدأ قراءة "ملف المستقبل" و"رجل المستحيل" كان هو يبدأ قراءة أعداد مجلة الدعوة، والجزء الثاني من "مذابح الإخوان في ليمان طرة".

رحمة الآن تجادل أبوها بشأن إدخال الـ(DSL) إلى المنزل، أو السماح لها بالذهاب مع إخوتها إلى السينما.

رحمة الآن تعلق صورة تامر حسني في دولابها، بينما كان الأخ الأكبر يستمع لأول أغنية في حياته، عبر نسخة مسجلة من شريط سميرة سعيد "ليلة حبيبي بأقل درجة صوت ممكنة، فالبيت وقتها كان يسمح بمواد صوتية ومرئية معينة.. القرآن.. الأناشيد.. الأفلام الأجنبية مساء الجمعة على القناة الثانية.

رحمة لا تعرف "أبو مازن و"أبو راتب" ولا "عماد رامي"، ولا تحفظ "نعم إن أول غيثي الندى"، رحمة لا تعرف "مدرسة الجمعة"، ولا "اليوم الرياضي"، كما أن أحدًا لم يخبرها بـ"سنخوض معاركنا معهم"..

لكنها تذكر أن أول كلمة نطقت بها كانت "حبيبي يا نور العين يا ساكن خيالي"، وأن مسلسل الثامنة هو المفضل لها، وأن الرسم على السيراميك يهدئ أعصابها كثيرًا، وأنها لن تتخلى عن صديقتها "شاهندة" رغم أن أبوها أمرها بذلك، في حين تخلى أخيها الأكبر عن "أحمد محمود"، ابن الممثل، وزميل الفصل، وذلك بعد علقة ساخنة من الأب.

رحمة لديها فكرة عن المكياج، لكن الأخ الأكبر كان يضع "الجل" في "بير السلم" حتى لا يراه أبوه، الذي يعتبر "الجل" رعونة، وشيء لا يليق بأخ مسلم.

رحمة جاءت بعد ثلاثة أولاد، لكن الأخ الأكبر جاء وحيدًا، فكان فأر التجارب الأوحد، وهي تجارب فشلت كلها، حتى قبل أن يولد.

رحمة لا تعرف شكل التليفزيون الأبيض وأسود، ولم تشاهد فيلم "ديسكو ديسكو ولا أفلام "الشحات مبروك" لكن الأخ الأكبر شاهدها، ويحفظها..

رحمة ستصنع معجزة.. ستمسك القلم بعد قليل، وستكتب أشياء ستعرفونها من خلالها، لعلكم ستقولون إنها تذكركم بأخيها الأكبر، لكن هذا الأخ واثق من أنها ستصنع معجزتها الخاصة، وتجربتها الفريدة.

رحمة لا تعرف أنني أحبها جدًا، وأنني بكيت منذ أيام عندما فكرت أنني بالنسبة إليها واحدًا من "الكبار"، الذين يعذبون الأطفال بدافع التربية، ويضربون الظهور المقوسة على مائدة الطعام بحجة "هيطلعلك قتب"، ويلقون المحاضرات الطويلة عن البدانة المفرطة وعيوبها، وإنها "مش هتلاقي عريس يبصلك وإنتي تخينة"..

رحمة لا تعرف أن أخاها الأكبر يشعر بالفخر أنها أخته الصغرى، وأنه يتقدم لها بطلب بسيط، ألَّا تعتبره من "الكبار"، فهو لا يزال يحلم بالهروب على الدراجة، ومع كيس الساندوتشات، رحمة بالتأكيد تحلم بذلك.. فقد أخبرتني.. وقالت: "ده سر بينا يا براء".

قتب!

هل سيصبح عندي "قتب"؟؟..

هل سينمو داخل ظهري ظهر آخر، يشكل قوسًا مشدودًا بالعكس، بطنه إلى قفاي.. ووجهه إلى الواقف خلفي.. هل ستفقد ملامحي لون الطفولة، وأتحول، بحكم العمر.. إلى رجل ناضج، مظهره يوحي بأكثر من سنه بعشر سنوات.. يهده التعب، ويعلن عدم القدرة على حمل المزيد من الكراتين..

إن أصبحتُ يومًا بـ"قتب"، فستكون الكراتين هي السبب بالتأكيد، سنوات عملي الأولى مع أبي، في مجال بيع الكتاب، حمل الكراتين من المخزن إلى بطن السيارة نصف النقل، والعودة بها، بعد المعرض، إلى المخزن مرة أخرى.

زمان، زمان جدًّا، بعيد هذا الوقت لدرجة أني غير متأكد من أنني ذات البني آدم الذي حدثت له هذه الأحداث، أيام كان عمري عشر سنوات ربما، كنت، وأخي، نحمل صباح كل جمعة، عشرة كراتين، من مدخل بيتنا، إلى ظهر سيارة أبي نصف النقل، كانت لدي أبي سيارة من هذا النوع، قديمة، ضيقة، وكان مكان الكاسيت فيها فارغًا، ومظلمًا، وكنت أتصور أنه مكان ملائم لسكن

العفاريت، وأن هناك شبحًا يسكن في هذا الفراغ المستطيل، سيخرج في أي لحظة، ويقتل الجالسين في صالون السيارة.

لهذا السبب ربما كنت أفضل الجلوس في الصندوق الخلفي للسيارة، أجلس مرة، وأقف مرات، ممسكًا بسقف الكابينة، خلف أبي مباشرة، لأستقبل الهواء البارد – أو الساخن – بوجهي، بابتسامة ملائمة.

صباح كل جمعة، كنا ننزل، أنا، أخي، وأبي، إلى الشارع مبكرًا، قبل الصلاة بساعة على الأقل، نحمل الكراتين، ونذهب بالسيارة إلى مسجد بعيد جدًا عن منزلنا، يطل على ترعة المنصورية، كنت – ولا أعرف لهذا سببًا – أتخيل أن هذا هو المسجد الذي يخطب فيه الشيخ الشعرواي، وبالطبع لم يكن الزحام يسمح لي بالدخول، لأعرف من هو الخطيب، كما أن عمري – وقتها – لم يكن ليسمح لي بمقارنة ما يقوله الخطيب – الذي لم يكن الشعراوي بأي حال – بما يقوله الشعرواي نفسه في خطبه المتلفزة.

نصل إلى المسجد، ونتولى جميعًا، أنا وأبي وأخي الأصغر، تنزيل الكراتين من صندوق السيارة إلى رصيف مجاور للمنزل، وسرعان ما تعمل أيدينا بقدر من الاحتراف، لتفريغ الكراتين من الكتب،

وفرشها، بنظام معروف ومألوف، على الرصيف، في انتظار المصلين.

كنا أحيانًا، نجلب معنا بعض الترابيزات الصغيرة، لفرش الكتب عليها، وكانت مسألة الترابيزات تخضع لمزاج أبي، فهو إن كان متحمسًا اليوم، يصر على رفع الترابيزات من مدخل البيت إلى صندوق السيارة، وإن لم يكن كذلك، يكتفي بالكراتين، بدون ترابيزات، وقد أثبتت التجربة، أن وجود الترابيزة، لم يكن مؤثرًا بأي حال على مبيعات الكتب.

كانت الكتب جميلة، أحجامها ثابتة، قطع صغير يشبه قطع روايات الجيب، معظمها لمؤلف واحد وبغلاف مميز، مؤلفها اسمه أحمد ديدات، عرفت بعدها أنها كان مسيحيًا وأسلم بعد فترة طويلة. كانت تباع بسرعة، وإن كان سعرها لا يحتوي على مكسب كبير.

كتب أخرى أكبر، للشيخ الغزالي مرة، ولشيوخ آخرين، كان لدينا كتاب من القطع المتوسط عن الموت، وآخر عن المخدرات، وثالث عن النار، وكلها كانت تباع بسرعة مدهشة، كما أن أبي كان يملك أعدادًا كبيرة من كتاب لمؤلف اسمه "عبد الصبور شاهين يتحدث فيه عن رواية اسمها "أولاد حارتنا"، من تأليف

رجل اسمه "نجيب محفوظ"، يقال وقتها إنه قد حصل على جائزة اسمها نوبل، وهي جائزة غالية، يعطيها اليهود لهؤلاء الذين يسبون الدين، كما يقول شاهين في ظهر غلاف كتابه.

كنت أستمتع بالجلوس طوال وقت الصلاة بجوار الكتب، وما إن يخرج الناس من الجامع، حتى يلتف الناس حول رصة الكتب، وحول باعة آخرين يبيعون الفاكهة أو العصائر أو الجرائد.. كنت أعرف بعض الأسعار، وأسأل أبي عما يغيب عني من أسعار.

كنت أحب أبي جدًّا، أتعلق به لأقصى حد، كنت أتعلق بجلبابه الأبيض الطويل، لم يكن أبي يحب الجلاليب البيضاء القصيرة التي يرتديها المصلين في ذلك المسجد، أكره الجلاليب القصيرة، أشعر أنها "مش حلوة"، بمقاييس الأطفال، كانت اللحية، والسواك، والجلباب القصير، كلها أشياء مش حلوة، جادة ورصينة وتدخل على القلب الخوف والرهبة.

ربع ساعة ويختفي الناس من حول الفرشة، ونتولى، أنا وأبي وأخي الأصغر، حمل ما تبقى من كتب، ورصها في الكراتين، وحملها داخل صندوق السيارة، والعودة إلى المنزل، وإنزالها مرة أخيرة إلى مدخل المنزل.

بقدر ما كنت أحب أبي، بقدر ما كنت أحب حمل الكراتين، لم تكن تلك العملية تسبب لي أي قدر من الإزعاج على الإطلاق.. كنت سعيدًا بها، فخورًا بأني أفعلها صباح كل جمعة..

كنت أشعر بأني رجل صغير، أحمل هم هذه الأسرة، وأننا – أبي وأخي وأنا – شركاء في شركة صغيرة، ستكبر يومًا ما، وسنجلس نذكر هذه الأيام، التي كان رأس مالنا الوحيد فيها أكتافنا الضعيفة، القادرة على حمل الكراتين من وإلى السيارة.

كنت معتادًا، حين أقف بجوار الكتب، أن أرقب أبي من بعيد، يقف مع بعض الرجال، يتحدث عن أشياء عدة، كان أبي يبدو لي وكأنه شخص أسطوري، يعرف شيء عن كل شيء، كان يتحدث في السياسة، والأدب، والدين، وأحيانًا كان يلقي – مع هؤلاء الذين انتهوا من صلاتهم منذ دقائق – بعض النكات والقفشات.

انتهت هذه الأيام فجأة، لا أعلم على وجه التحديد سبب امتناعنا عن الذهاب إلى المسجد البعيد بالسيارة والكراتين، بالتأكيد حدث شيء ما لا تستطيع ذاكرتي التقاطه، لكن السنوات التالية شهدت بعض الرخاء، أسس أبي شركته الخاصة، وأصبح لديه عشرات العمال القادرين على حمل الكراتين، وقد كان يحرص – ولا يزال – بين فترة وأخرى، على حمل كرتونة من هنا لهناك، أو على

ربط كرتونة بنفسه، والتأكد من إغلاقها بإحكام، كما أنني شاهدته مرات كثيرة، يعطي نصائح ذهبية لبعض الموظفين الجدد، عن كيفية ربط الكرتونة، أو رص الكتب بطريقة سليمة تمنعها من السقوط ولو بعد مائة عام.. هكذا قال.

اختفت السيارة نصف النقل ذات الصندوق في ظروف غامضة أيضًا، باعها أبي ليشتري بعدها سيارة مستعملة من نوع "داتسون ١٨٠٠".. وكانت بصندوق خلفي من نوع الـ"ستيشن"، وهو صندوق يسمح له برص مجموعة من الكراتين ونقلها لعملاء شركته الجديدة.

بمرور الوقت اختفت الداتسون، وحلت البيجو – الـ"ستيشن" أيضًا – محلها، وهو تغيُّر قد يلفت النظر إلى أن الأسرة المتوسطة الحال قد شهدت بعض التحسن المادي.. وهو ما سيؤكده حلول الـ"شاهين" بعد ذلك بسنوات، ثم سيارة جديدة من موديل حديث يشتريها أبي هذه الأيام.

لا يزال أبي شغوفًا بامتلاك سيارة بصندوق واسع، وعندما اصطحبني – الأسبوع الماضي – لصالة بيع السيارات التي سيشتري منها سيارته الجديدة، تقدم بسرعة من السيارة، وفتح الصندوق، وأشار لي بابتسامة ذات مغزي، "شايف كبير ازاي"..

لا يعرف أبي أنه بنظرته أعاد لي ذكريات قديمة، بطعم الكراتين وصلاة الجمعة.

لم يكن أبي مقتنعًا بمسألة ركوب سيارة موديل ٢٠٠٨، يقول إنه غير مهتم بالمظاهر، وإنه يحتاج سيارة تحتمل الكراتين التي يأخذها معه إلى العملاء أو المطابع، كان ينوي أن يشتري سيارة نصف نقل بصندوق خلفي وبـ"٢ كابينة" بحيث تسمح بحمل الكراتين، وباصطحاب إخوتي الصغار في المشاوير العائلية.. لكن شيئًا ما أقنع أبي بأنه يستحق بعض الرفاهية أخيرًا بعد رحلة شاقة في الحياة، توقف فيها أحيانًا أمام مسجد على ترعة المنصورية لبيع الكتب مع ولديه الصغار.

أما أنا، فقد عملت مع أبي لفترة طويلة، انتهت مع نهاية عامي الدراسي الأول في الجامعة، بعدها قررت الرحيل وشق طريقي وبدء رحلتي الخاصة، دون أن أنسى أنني قد حصلت على بعض الخبرة من قبل، خاصة فيما يتعلق بحمل الكراتين وبيع الكتب، كما أني وجدت نفسي أخيرًا، قادرًا على الوقوف مع الرجال بعد صلاة الجمعة، للحديث في أمور عدة، السياسة والدين، وربما إلقاء النكات والقفشات.. لعل مظهري يبدو، لهذا الطفل الصغير، الذي رأيته يبيع الكتب بجوار المسجد، كرجل أسطوري، قادر على

الحديث في أي شيء، وإن كان يرتدي بنطلونًا وقميصًا، رافضًا بأي حال، الخروج بالجلباب من باب البيت.

لا يعلم هذا الطفل، أن بيننا ذكريات مشتركة، فقد بدأت من حيث يقف، كما أن مسألة مهمة تشغلني هذه الأيام تتعلق بالـ"قتب" الذي بدأ يظهر لي، وقناعتي التامة بأن الكراتين – التي يحمل الطفل مثلها كل جمعة – هي السبب..

كوكو يختار الحرية

كعادة الذين يتزوجون حديثاً، كانت لدي ميولاً رومانسية، ويمكن ملاحظة هذا خلال عدة مواقف..

اقترحت على خطيبتي أن نشتري حوضاً لأسماك الزينة، وقد وافقت.

اقترحت أيضاً، حين ذهبنا للمول الضخم لشراء بعض الأدوات الكهربائية الناقصة، ولم تكفي نقودنا لشراء كل شيء، اقترحت أن نشتري دبدوباً كبيراً، نضعه في الصالة ونلعب به، وقد وافقت.

وأضفت اقتراحاً أخيراً، بخصوص شراء قفص صغير للعصافير، يضم عصفوراً وعصفورة، والحقيقة أن خطيبتي رفضت الأمر، وبشدة، وكان علي أن أبدأ حياتي الزوجية محروماً من العصافير، ومكتفياً بحوض الأسماك والدبدوب الضخم.

ثم.. ثم ماذا؟

يبدو أن أخي الأصغر لاحظ هو الآخر ظهور بعض أعراض الرومانسية علي، وعليه.. فقد أهداني في زيارته الأولى لمنزلي المتواضع، قفص عصافير صغير، يضم عصفوراً وعصفورة، وكانت مفاجأة سارة.

بمرور الوقت، اخترت مع زوجتي اسمين للعصفور والعصفورة، ربما كان "كوكو و"كوكة"، بالطبع كانت إحدى صفات المتزوجين حديثاً، تلك المسحة السخيفة من الدلع التي تغلف كل شيء.

في البلكونة قمت بدق مسمار صلب طوله عشرة سنتيمترات، وثبت القفص من خلاله، وقد اعتدت أن آخر ما أفعله في يومي قبل الدخول إلى السرير، هو سحب القفص من الخارج، وبالتالي فإن أول ما أفعله صباحاً هو إعادة القفص إلى مكانه.

في الصباح، كنت أطمئن على منسوب المياة في الزجاجة الصغيرة التي تشرب العصافير منها، وكنت أضيف قدر من الحبوب إلى صندوق الطعام. وكنت أستغرق دقيقة أو دقيقتين في مراقبة القفص، وألاحظ مجدداً أني على وشك التحول إلى زوج رومانسي يحب العصافير ويلعب بالدبدوب ويراقب أسماك الزينة.

كانت أحلامي بخصوص العصافير محدودة، فقط تمنيت أن ينجب "كوكو و"كوكة" عصفور صغير، لكن حقيقة أني لست متأكداً من أن "كوكو ينتمي لذكور العصافير، وأن "كوكة" عصفورة أنثى، جعلت القفص يضمهما سوياً، حتى نهاية القصة.

ما الذي جعل للقصة نهاية؟

كنت أفكر أحياناً أن "كوكو و"كوكة" قررا الاستغناء عن الحرية مقابل الحب، لا مانع من التضحية بالطيران الحر في سماء الله الواسعة، طالما أن قفصاً صغيراً يجمعني مع من أحب.

أنا وحبيبي فقط، في قفص، نلعب، نلهو، نأكل، نشرب، نمارس الجنس، نتكاثر، نغني، نزقزق، نفعل ما نشاء، مملكتنا الخاصة، لنا وحدنا، فقط هي مغلقة، لكن، لا شيء يهم.

كنت أراه اختياراً منطقياً، الحب مقابل الحرية، والحرية مقابل الحب، عدل كافي، لا يحسدون أحد، ولا يحسدهم أحد. والحمد لله رب العالمين.

لم أكن رومانسياً كفاية لأعرف أن "كوكو و"كوكة" ليسا على ما يرام. لذلك، فقد صدمت.

خرجت إلى البلكونة ليلاً لأجذب القفص إلى الداخل، لاحظت فتحة صغيرة في الصندوق الخشبي الملحق بالقفص، لقد هرب "كوكو بعد أن نجح في إزاحة الباب من الداخل. وقد ترك "كوكة" وحدها.

هرب "كوكو وترك وراءه الأسئلة التالية..

كيف يمكن التضحية بحبيبة في قفص، والمغامرة بالطيران في عالم لم يكن مسموحاً بتجربته من قبل؟

هل كان الهارب على علاقة بحبيبة أخرى خارج القفص، جملت له متعة الطيران في الفضاء المفتوح، وجعلته يزهد في الحب الدائم، المحبوس؟

أي شجاعة تلك كانت تفتقدها الحبيبة، لتترك رفيقها يغادر وحده؟، هل خافت؟، هل غضبت؟، هل عجزت هي الأخرى عن تخيل الحرية؟، أم أن البقاء وحيدة، والبكاء على الحب الذي كان، هو خيارها الأفضل؟.

هل كانت حرية الهارب مضمونة؟، وهل كان البقاء مريحاً للدرجة؟ هل افتقد الهارب – بعد ذلك – سكون القفص؟، وهل ندمت الحبيبة على قرارها؟

كيف وجد الهارب قوت يومه؟، وكيف أكلت الحبيبة وحدها وجبتها – الهنيئة – الأولى؟

"كوكو اختار الحرية، "كوكة" اختارت البقاء.

بسطرمـــة !!

"سوف لن نشتري شجرة.. ستكونين أنت الشجرة".

وكـ"شجرة"، تعرفين بالتأكيد أن لحظة كتابتي للسطر السابق بغيضة وكاذبة.. تعرفين حجم السخافة الذي أقابل به أغنيات كاظم هذه الأيام، كنت أحبها سابقًا، أيام الثانوي والسفر البعيد للدراسة في الجنوب، أما الآن، وقد صرت أبًا لفتاة صغيرة كبيرة، أصبح من الصعب أن أقبل مخاطبة حبيبة باعتبارها شجرة، وإخبارها أنه من باب التوفير، فإننا لن نشتري هذا العام شجرة، فستكونين أنت الشجرة، وسنعلق عليك بعض اللمبات الملونة، لكنك لا تسمحين بتعليق الهموم، فهي أثقل من أن تحتملها غصونك، أنت في النهاية لست شجرة حقيقية، بل بديل لشجرة أخرى رأينا ألا نشتريها ونكتفي بك تمثلين دور الشجرة دون إتقان، في النهاية، أنت أنت، والشجرة شجرة، والهموم هموم.. وكاظم هو كاظم، "سمعتي يا مستبدة؟"

أرجو ألا تعتبريني متهكمًا، الليلة السابقة كانت مجهِدة، ورسائلك الأخيرة كانت بلا شك سخيفة، خاصة وأنها تأتي بعد مكالمة أسخف.. ثم بعد كل هذا، يأتي الجرسون بطبق ورقي مبلول عليه

ساندوتش بيض بالبسطرمة، ودون شك فإن العِشرة بيننا جعلتك تدركين ما يسببه البيض بالبسطرمة لي من إحباط.

أرجو ألا تعتبريني نذلًا.. من الممكن اعتباري جبانًا، تلك صفة تليق علي وأليق عليها، لكني لم أكن نذلًا يومًا.. النذالة يا صديقتي في حاجة إلى تخطيط، وأنا أفشل في التخطيط بشكل خيالي، وبمرور الوقت، أدركت أن أي وقت أستغرقه في محاولة وضع خطة، هو في الواقع مجرد وقت ضائع، وبتوقفي عن المحاولة، صرت جبانًا باقتدار، وأنت تعلمين هذا جيدًا.. ما الذي يفسر في رأيك أني أكلت ساندوتش البيض بالبسطرمة دون اعتراض، رغم أني لم أطلبه أصلًا، بل حددت طلباتي بدقة، واحد بطاطس، واثنين فول، وزجاجة كولا صاروخ، وشيشة تفاح، هل ظهر البيض بالبسطرمة ضمن الطلبات السابقة؟ أبدًا، لكني أكلت، وسأمضي ليلتي في الكتابة إليك والغازات تملأ جسدي، والأسئلة تدور في رأسي حول المادة الخام التي يصنعون منها البسطرمة، وشخصية مخترع أول ساندوتش بيض بالبسطرمة.

يا سيدتي الكريمة، من المفترض أن أستقبلك في بيتي بعد ساعات، في زيارة خاطفة تخبريني خلالها بأن الوقت أصبح ضيقًا، وأن الهموم واسعة، وأننا سنواجه مشكلة كبيرة في دخول

الهموم داخل الوقت، خاصة وأن القمصان الضيقة لا تليق على جسدي أو جسدك.

بخصوص الجسد، دعيني أعترض على القفازات الحريرية البيضاء التي تخططين لارتدائها خلال زيارتك. القفازات لم تخترع لهذه المناسبات، الحكمة الإنجليزية الصينية القديمة تقول: لا ترتدي القفازات وأنت تخسرين صديقًا صعلوكًا بعد أن صربتِ أميرة بالتزوير، الصعاليك حساسين بعض الشيء، ومجانين، وقد يجبرونك على السلام عليهم بحرارة، وأياديهم متسخة رغم أنهم يغسلونها باستمرار، والـ"دراي كلين" سيرفض بالتأكيد غسل قفازات بيضاء حريرية عليها شحم صعاليك. انتهت الحكمة، التي تعرفين أنها من تأليفي يا أميرتي الغالية.

إذن، ستأتين رغم كل شيء. لا زلت أحتفظ بأشياء تخصك. الكتب، المكتبة، زجاجات الكولونيا الصغيرة والمنتشرة في غرف النوم، والدبدوب الكبير، والشجرة، أعلم أنك ستأخذين كل شيء وتتركين الشجرة، لقد صربتِ شجرة يا عزيزتي، وأنا أعرف غيرتك الشديدة تجاه الأشياء التي تشبهك.

عمومًا، ورغم كل شيء، الصديق أسامة منير يقول إن الحب مهم، وإن علينا جميعًا أن نحب بعضنا، وإن فرق السن مش مهم،

المهم الاحترام، وإن البرنامج يذاع على الهواء كل حد وتلات.. ولسه بنتكلم عن الحب وفي انتظار رسايلكم على ١٠٠٦ فكرت أن أرسل رسالة، أقول فيها إنك ترغبين في التحول إلى شجرة، لكني تراجعت خوفًا من أن يتهمني أسامة بأني عنصري ضد النباتات.

تريدين أن تصبحي شجرة، وتلك حريتك الكاملة.. لكن باب الحرية ضيق، ولن يحتمل أفكاري المجنونة، ورغباتي غير المكبوتة في التحول إلى أسانسير قديم، أو بروجوكتور.

سامحيني، قلبك كبير، والمسامح كريم، والسماح يا أهل السماح، وشجر الموز طرح، ضلل على عينيا.

يا صديقتي العزيزة، أنا آكل الموز بانتظام منذ شهرين، واستمع إلى أم كلثوم وبهاء سلطان، وأشاهد روتانا زمان، وأسهر على التكعيبة وأستسلم للبيض بالبسطرمة، أنا على وشك التحول إلى كشك سجائر، أو دنياصور أخير على الكوكب يناقش مسألة تنظيم الأسرة وتحديد النسل للحفاظ على الأشجار. لكن لجنة حموم الإنسان تطلب منه أن ينقرض في هدوء دون أن يسبب قلقًا لغيره من الكائنات.

أنا متعب، أنا "بايظ"، أنا خرتيت كسول أصابع قدميه تبعث رائحة نتنة وهو يحبها.. أنا سقف غرفة واسعة على وشك التعبير عن حبه للأرض والذوبان بها بالسقوط، أنا حجر شيشة تفاح يرغب في تغيير الولعة لكن صبي القهوة لا يستجيب، أنا أجلس تحت الشجرة، وعصافير الشجرة تقضي حاجتها على قميصي الأبيض، ولا يروقني قول الأصدقاء أني "هَتْكِسي

أنا ديوان الشعر الذي لن يطبع، والفيلم الذي لن يحصل على منحة وزارة الثقافة، نوت الفيس بوك التي لا تأتي بتعليقات، أنا ستاتيس على الموقع ذاته لا تستفز أحدهم للضغط على "LIKE".

أنا أنت، حين كنتي صعلوكة مثلي، تكرهين الأشجار، وتمنعين البسطرمة من دخول المنطقة.

ختامًا، دعينا لا نسبق الأحداث، أو كما قال "خالد سليم" لصديقته التي لا ترد على الهاتف.. "ولا أقولك.. بلاش الملامة.. سيدي أنا حمد الله ع السلامة"

فعل مشترك

(1)

تبكي، وتقول إني بني آدم مقرف..

تسألني عن المرة الأخيرة التي نمنا فيها معًا.. السؤال في حد ذاته مقرف، لكنها تحب أن تسأل.

تقول إن ما يحدث بيننا لا علاقة له بالجنس.. وإني أبدو كطالب فاشل يحاول أن يؤدي واجباته خوفًا من العقاب.

أمنع نفسي من القول إنها أصبحت فعلًا كناظر مدرسة سخيف يدمن معاقبة الطلبة الفاشلين.

(2)

تبكي، وتقول: "ربنا ياخدك..

تسألني: "عملت الرخصة؟" وتؤكد أن بقية رجال العالم، الذين يملكون سيارات، لا يتأخرون في تجديد رخصهم.

أمنع نفسي من الضحك.

(3)

تبكي، وتقول: "مش قادرة..

تسألني: "النهاردة واحد في الشهر، إنت عارف إحنا علينا كام؟"
وتبدأ حصة الجبر والإحصاء.
تضيف أنها "شايلة الهم وحدها"
أمنع نفسي من الاعتراض، بعض الكذبات يمكن تصديقها.

(4)

تبكي، وتوزع اللعنات على الأشياء.
تسألني: "بتعمل إيه في حياتك غير الشغل والفرجة على التليفزيون والقعدة ع النت والنوم والأكل، أنا فين في حياتك؟"
أمنع نفسي من مصارحتها بأن هذه هي الحياة، وأبدو آسفًا على حالي.

(5)

تبكي، وتسألني عن "الفعل المشترك"
تسألني عن المرة الأخيرة التي مارسنا فيها "فعلًا مشتركًا"
أفكر في أن المقصود شيئًا آخر غير الجنس، فقد سألت عنه في البداية.
بمزيد من البكاء والحوار، أكتشف أن الفعل المشترك هو شيء مجهول، فهو ليس دخول السينما معًا، أو الفرجة على التليفزيون

معًا، أو الطبخ معًا، أو الخروج معًا، ولا حتى النوم معًا، ولا الأكل معًا، ولا الاستحمام معًا

الفعل المشترك هو الفعل المشترك.

أمنع نفسي من التجول في المنزل عاريًا، وأردد أغنية هزلية "الفعل المشترك.. عايز مشترك.. آه يا عيني..

(6)

تبكي وتصمت.

أبكي وأصمت.

check your mail

تسأله: شوفت فيلم "You've Got Mail"..
يخبرها بأنه أحد أفلامه المفضلة.

يبدو أن أفلام توم هانكس كلها مفضلة بالنسبة إليه، الحقيقة أنه النجم الأجنبي الوحيد الذي يحفظ اسمه، هو يعاني من حفظ أسماء نجومه المفضلين، جلس مرة ساعة كاملة يحاول أن يتذكر اسم "ميج ريان" لأحد أصدقاءه، ظل يخبره بأنها تلك ذات الشعر الأصفر والابتسامة الساحرة، لكن صديقه كان مملًا بحيث رفض الاشتراك في اللعبة، مخبرًا إياه أن كل نجمات هوليود بشعر أصفر وابتسامات ساحرة.
لكنه لا ينسى أبدًا توم هانكس، لقد منحه هذا النجم سعادة لا تنتهي، فهو أولًا ذو اسم سهل، يلتصق بالذاكرة من أول فيلم، وهو من ناحية أخرى صاحب أفلام ثلاثة، منحته عددًا لا نهائيًا من لحظات السعادة، كما أنه ليس وسيمًا جدًا مثل زملائه، توم هانكس يمكن أن يصبح مصريًا ببساطة، لو شاهدته دون أن تعرفه في شوارع القاهرة، فستقول إنه على الأرجح من المنصورة

أو المحلة، وإن أقسم لك أحدهم أنه اجنبي غير مصري، فستقول: "يمكن يكون من سوريا أو فلسطين". ليس أبعد من ذلك أبدًا.

منحه هانكس اللذة السرية كاملة في فورست جامب، كان يعتقد أن "فورست" هي ذاتها "فيرست" (First) وأن "جامب" هي "القفزة"، و"فورست جامب" هو "القفزة الأولى لكنه أدرك بعد مشاهدته للمرة الثانية، أن هانكس اسمه في الفيلم فورست، وأن جامب هو اسم والده، وأنه لا علاقة للجري الذي يجريه فورست في النصف الثاني من الفيلم بأي قفزات أولى أو ثانية.

ثم صفعه الصفعة الأقوى في "You've Got Mail"، هل يوجد سحر بهذا الشكل، هل يمكن أن يحدث هذا، تمنى يومها أن يتوقف الزمن بميج ريان بحيث لا تكبر أبدًا، تظل كما هي، بقصة شعرها، ورقبتها البيضاء الرقيقة، تمنى أن تظل تستخدم معجون الأسنان نفسه إلى الأبد بحيث تظل أسنانها هكذا، لا أبيض من ذلك ولا أصفر، تمنى أن يتقدم علم الاستنساخ، أن يتمكن العلماء من تكرار جسد "ميج" في الآف النسخ، وأن تصبح ابتسامة "ميج" متاحة لأي فتاة من شبرا حيث كان يعيش وقتها، لكن أمنياته كلها لم تتحقق، يتقدم الزمن بميج، مثلما يتقدم بتوم، وتعجز محاولات

الاستنساخ في إبقاء النعجة دولي على قيد الحياة، فما بالك بميج ريان.

لكن عزاؤه أن توم كلما كبر، كان يكتسب من السحر قدرًا مضاعفًا. حدث ذلك في "صالة الوصول" أو "the terminal"، يؤكد أنه لم يضحك ويبك في حياته في نفس الوقت إلا أثناء مشاهدته لهذا الفيلم.

تسأله: شوفت فيلم "You've Got Mail"..

يخبرها بأنه أحد أفلامه المفضلة.

لدى Joe Fox" مكتبة ضخمة، هو سليل عائلة تجارية كبيرة تتخصص في الكتب، سياستها استحواذية بحيث تمكن من شراء كل مكتبات المدينة، عدا ركن صغير، تشرف عليه Kathleen Kelly"، والتي ترث المكتبة عن أمها.

هذا في الواقع، لكن على الإنترنت، يتعرف "فوكس" على "كيلي مصادفة، وينتظر خروج خطيبته من المنزل كل صباح ليفتح حاسوبه المحمول، ويكتب رسالة جديدة إلى صديقته الإليكترونية، وينتظر ردًا منها، "كيلي" تفعل الأمر ذاته.

تصبح شاشة الحاسوب لكل منهما نافذة سحرية تطل على السعادة، سعادة سرية صادقة، رسائل طويلة، تكتب في دقائق، تتحدث عن إذا ما كان كل طرف نام جيدًا أم لا، سعيد في حياته؟ مسرور لأن المطر يهطل على المدينة وهناك توقعات بثلوج، كل التفاصيل التي تبدو تافهة، تصبح فجأة ذات قيمة.

تسأله: شوفت فيلم "You've Got Mail"..
يخبرها بأنه أحد أفلامه المفضلة.

رغم أنه يتذكر الفيلم جيدًا، لكنه لا يعلم على وجه التحديد ظروف وملابسات تعرفه بها.
هو يعرفها و"خلاص"، بدون أي مقدمات، بينهما علاقة تسمح لها بطرح الأسئلة الشخصية، وتسمح له بالإجابة عما يروق له منها.
هو – مثل أي شخص عادي – يحب الأسئلة المحرجة من فتاة جميلة تلبس جيب واسعة تصل إلى ما بعد الركبة بقليلة، يفضل هذا الـ"ستايل"، تذكره هي بالـ"snow white"، وككل الرجال الذين هم في الحقيقة لم يبارحوا مكانهم في روضة الأطفال – فإنه

يحب فتاة الثلج الأبيض، ويحلم بها في الليالي الصافية التي يكون الجو فيها ملائمًا للنوم دون غطاء.

يحب أسئلتها، يترك نفسه لها تحلله كما تشاء، تخبره بأنه بحاجة للذهاب إلى طبيب نفسي لتلقِّي العلاج، يسألها عن أعراض المرض الذي تلاحظه عليه، فتقول: "قلة الحب.. أنت مش بتحب نفسك كفاية".. يقول: "فعلًا.. ده أحد أهم عيوبي"، يضحك داخله حتى يكاد يفلت "كركرة" هنا أو هناك، يتسائل إن كان هو لا يحب نفسه فمن المجنون الذي يفعل، يطمئن نفسه بنفسه، هو يحب كل شيء فيه، كل تفاصيله، كل أشيائه، يحبه حتى في الأشياء البغيضة التي يعرف أنها بغيضة.. لكنه يستسلم لها، يوافق على الذهاب للطبيب، وإن كان يعلم أنه لن يفعل أبدًا.

يسألها دائمًا عن "عيوبه"، يفرح بما تقول، تخبره بالعيوب التي يعتبرها هو مميزات لا تعوض، تقول إنه "ديكتاتور مع هؤلاء الذين يحبونه"، إنه "ملوش أمان.. يكون قدامك وبعدين يختفي"، إنه "مودي جدًّا، بمزاج متقلب بين لحظة وأخرى".. إنه "ملول".. يدلدل رأسه لأسفل، يرسم تكشيرة، يقول إن صراحتها هذه المرة كانت شديدة على قلبه الضعيف، وإنه سيعمل على التخلص من عيوبه بسرعة، تخبره هي بأنها آسفة على تدخلها في حياته الشخصية،

مذكرة إياه بأنه هو الذي بادر بطرح السؤال "المحرج" يضحك في سره من جديد، ويعلن استمتاعه باللعبة.

تقريبًا، مارس معها كل الألعاب المشابهة، قابلها عددًا لا نهائيًا من المرات، أنفق على مكالمتها مائة جنيه وأكثر، سألها مليون سؤال، وجاوب على تريليون.

لكنها اليوم، تطرح سؤالًا عاديًا، لم يتردد لحظة في الإجابة عليه، لكن مع الحرف الأخير من السؤال، يدرك أن الخطر قادم، وأن عليه أن يحترس.

تسأله شوفت فيلم "You've Got Mail"

يخبرها بأنه أحد أفلامه المفضلة.

ما المانع في أن تصبح لديه حبيبتان وأكثر؟!

حبيبته الأولى – رغم أنها تذكره بخطيبة توم هانكس في الفيلم – لكنها ليست على نفس الدرجة من السوء، كما أن علاقته بها تخطت مرحلة الحب، هي الآن زوجته الحامل في شهورها الأخيرة، والتي أخبرها الدكتور بأن الجنين طفل جميل، مكتمل النمو، وأنه يقترح عليها تسميته "مروان

هل لأن "أم مروان انتفخت قليلًا، لأنها تحمل مروان بداخلها، وستظل منتفخة بعد خروج مروان من جسدها ستة أشهر على الأقل، هل الانتفاخات المؤقتة تلك تسمح له بتكرار ما فعله هانكس وريان في فيلمه المفضل.

لكن، هل يحب هو "أم مروان فعلًا، أم أن الأمر لا يتعدى مجرد التزام ومسؤلية تجاه الأطفال التي تقول الإعلانات أنهم عادة ما يكونون الضحية، وهو – كرجل – يرفض أن يكون له ضحايا من فئة الأطفال، يفضل الضحايا من النساء، أو الرجال الأقوياء.

يترك صديقته السائلة تثرثر قليلًا، يغمض عينيه، ويعود بذاكرته بضعة سنوات، ويتذكر حبيبته الأولى.

لا شيء يؤكد أنه يحبها، الصدفة هي الشيء الوحيد الذي جعلهما حبيبين، ومن ثم زوجين.. لا شيء أكثر، لا شيء أقل.. الخطوبة كأية خطوبة، والشبكة كذلك، الفرح في مكان مهجور، وبحضور الأصدقاء المقربين، والحمل بعد الزواج بشهور قليلة، و"صباح الفل يا أبو مروان.. يتربى في عزك يا أخويا".. و"بس

يعود للصديقة السائلة، يسمع منها ما تقوله بشأن الفيلم الذي شاهدته هي مؤخرًا، ينسجم مع كلامها حتى النهاية، يسمعه بمنتهى التركيز، لا مجال لدخول "أم مروان إلى عقله للتشويش.

تقول له إنه – كأي زوج – لا ينعم بالسعادة في حياته، يخبرها بالعكس تمامًا، "أنا سعيد جدًّا؛ لدي وظيفة جميلة، وزوجة أجمل، وطفل من الجنة، وسيارة حديثة، وموبايل بكاميرا، وصحة معقولة، وذكاء مقبول، وملابس كثيرة، وقدرة متوسطة على ممارسة الجنس ثلاث مرات أسبوعيًّا، ودراية ببواطن الأمور فيما يتعلق بالسياسة والاقتصاد وما شابه"..

يقول لها إنه "مبسوط" أكثر من أي بني آدم، لكنه لا يرفض المزيد من الانبساط، يطلب منها إكمال حديثها، معتذرًا عن المقاطعة.

تقول له ببساطة إنه كذاب، فهو – كأي رجل – لديه وظيفة جميلة يخشى من أن يفقدها في أي لحظة، وزوجة أجمل تدمن التدخل في خصوصياته، وطفل من الجنة يستهلك المزيد من البامبرز كل يوم، وسيارة حديثة عليها أقساط، وموبايل بكاميرا موديله يعود إلى الوراء سنوات ثلاثة، وصحة معقولة تجعله ينهج كل ليلة بعد أن يصعد دورين فقط هما الطريق إلى شقته، وذكاء مقبول من المقربين منه فقط، وملابس كثيرة مكدسة في الرف العلوي من الدولاب، كلها ضيقة غير صالحة للاستخدام، وقدرة متوسطة على ممارسة الجنس أمام شاشة الكومبيوتر حيث أن حالة أم مروان لا

تسمح لها بأكثر من مرة في الأسبوع، وكما أنه أصبح يمل أردافها المتضخمة، ودراية ببواطن الأمور تجعله يعلم إن مفيش فايدة.

يبتسم ابتسامة المنهزم، يخبرها بأنها إن عملت في مجال التسويق فستكون قادرة على بيع الموت بأغلى سعر، تكشر هي تكشيرة المنتصر، وتطلب منه عدم التهريج، والإنصات.

"أنت مش مبسوط للأسباب السابقة، وأنا أيضًا لأسباب تتعلق بخطيبي الثري الذي يعمل في فودافون ومشترك في نادي الصيد ونادي اليخت، وعنده عربية حديثة اشترتها له أمه كاش، ويغدق علي الهدايا لكنه في النهاية مخنث لا يجيد التعامل مع النساء مثلك أنت".

تطلب زجاجة مياة معدنية صغيرة، ثم تحدق في عينيك وتضيف: "وقد شاهدت فيلم You've Got Mail وأدركت أنه الحل المثالي، رجل متزوج غير راضٍ، مع فتاة مخطوبة على وشك الزواج غير مبسوطة، والعديد من الرسائل كل صباح، تسأل عن إذا ما كنت نمت كويس أم لا، وإن كنت سعيد لأن المطر يهبط على المدينة مع توقعات بثلوج".

يطلب هو الآخر زجاجة مياة معدنية صغيرة، تمد هي يدها بزجاجتها، وتطلب منه أن يشرب "مطرحها" حتى يصبح مجبرًا على الجري وراءها.

يغمض عينيه مرة أخرى بعد أن يشرب، ويفكر هذه المرة في الفتاة الجالسة أمامه، هل كانت ستقول كلامًا مماثلًا منذ عامين عندما لم يكن مرتبطًا على الإطلاق؟

إطلاااااااااقًا، أبدًا، عمرها ما كانت ستفعل، هي ليست مجنونة، هي فقط "قذرة"، أو لعلها "مادية بعض الشيء"، لعلها أي شيء، لكنها لم تصب بالجنان بعد.

ما الجديد إذن؟ ما القيمة المضافة التي أضافها الزواج له، بحيث يصبح في نظر "snow white" رجلًا ناضجًا قادرًا على إعطائها السعادة التي عجز موظف الـ"فودافون" عن منحها إياها.

سيسألها هذا السؤال في مرة أخرى، هي الآن جادة جدًّا، تنتظر منه إجابة..

أعاد التفكير في مقولته الأخيرة، إنها تصلح للعمل في مجال التسويق، فكر هو في حل تسويقي يكسب فيه الوقت ولا يخسر الموقف، طلب مهلة للتفكير.

إنها المرة الأولى ربما التي يطلب فيها رجل من فتاة تبيع له الحب التفكير، لماذا يفكر، إنها تبيع له ما يحلم به في أحلامه السرية طوال الشهور الأخيرة من حمل أم مروان، ما الذي يحتاجه أكثر من ذلك، إيميل صباحي قصير، وإيميل آخر في منتصف اليوم وربما رسائل قصيرة في المساء، بالإضافة إلى مقابلات هامشية في كافية بعيد، وحضور حفلة عرض منتصف النهار في قاعات سينما جالاكسي مع طلاب الجامعة والثانوي.

إنه "مشروع السعادة"، إنها الفرصة التي لن تنتظر، إنه الـ"عرض" غير المتكرر، إنها الحالة التي سيحسدك عليها رجال الأرض والكواكب الأخرى، إنها الفعلة التي لن يحاسبك عليها مروان حين يصبح في سنك، إنها النصيحة التي ستمنحها أنت إياه إن أطال الله في عمرك لتعيش حين يصبح هو زوجًا تحمل زوجته في الشهور الاخيرة، ستهديه نسخة من الفيلم، وتشاهده معه، ثم تدله على الطريق الصحيح، إنها الخيانة الإليكترونية التي هي ليست بخيانة، يذكر مرة قرأ لكاتب مغمور اسمه البراء أشرف على موقع إسلام أون لاين مقالًا يصف ما يحدث له، اللعنة على كل شيء، كل هذا التفكير ينهش في عقله منذ أن فارقها، وكيف اقتنعت هذه

الغبية بأنه بحاجة إلى التفكير، لن يفكر أصلًا، إنه موافق إلى الأبد، موافق على الدوام، موافق حتى النهاية، موافق و"خلاص" يعود إلى المنزل، الليلة كأي ليلة، والطعام كأي طعام، والأحداث كأية احداث، لن تدرك أم مروان أن شيئًا ما حدث، وكيف تدرك، علاقته بها ليست رومانسية ولا روحانية بحيث تعرف ما به من نظرة عين كما تدَّعي، كل الزوجات كاذبات، لا توجد زوجة قريبة من زوجها بما فيه الكفاية، كل شيء في هذا البيت كئيب، اللعنة على الصدفة التي جعلته يصبح فجأة أبو مروان، اللعنة على كل من تزوجوا قبله ولم يخبروه بالحقيقة.

ينام، كأي نوم، يخشى أن تداهمه فتاة الـ"snow white" في أحلامه، لكن هذا لا يحدث، يستيقظ، تساله زوجته للمرة الأولى ربما عن إذا ما كان قد نام جيدًا بالأمس، فجأة يكتشف أن هذه المرأة تحمل داخلها قدرًا من الرقة.

يضبط نفسه يلقب زوجته بالـ"مرأة" ويلقب الـ"snow white" بالـ"فتاة"، يسخر من وساخة عقله الذكوري، يسأل نفسه، ومن الذي حول أم مروان من فتاة إلى "امرأة"، يفخر بذاته قليلًا، لكنه يلعن اليوم الذي تعلم فيه أن يصبح أنانيًا، يقول أن نصيحة الذهاب

للطبيب النفسي ليست سيئة، لكن هذه المرة للعلاج من الحب الزائد للنفس.

يدخل الحمام، يجلس في المكان المعتاد للجلوس، يفرغ ما داخل جسده من فضلات، ويطهر نفسه باستخدام الكوز، كم يكره هذا الكوز، كم يفضل إفراغ فضلاته في العمل حيث أن الحمام هناك به "شطافة" تضخ الماء بقوة تطهره في لحظات بدون أي تدخل من يديه، لماذا لا يملك شطافًا سليمًا في بيته، يذكر أن أم مروان ذكرته بذلك أكثر من مرة، وأنه لم يفعل أي شيء بخصوص السباك الذي يجب أن يأتي ويصلح كل أجهزة الحمام مقابل مائة جنيه كاملة.

يخرج، يجد على الباب من الداخل "بورنس"، بلون لبني جميل، يجرب أن يقيسه، يجده على مقاسه بالضبط، يسأل أم مروان، كيف استطاعت أخيرًا الحصول على مقاسه، تخبره بأنها "تصرفت، وكل سنة وأنت طيب، زي النهاردة من ٤ سنين كانت خطوبتنا".

يتأكد من أنها تعرف شيئًا عن الـ"snow white"، لكنها لا تعرفها، كما أنها إن علمت، فسيكون رد فعلها مختلفًا.. يفعل ما اعتاد فعله كل صباح، ويهرع إلى الشارع.

ساعة واحدة بعد أن يصل مكتبه، ويسمع رنين موبايله، يرد، يجدها هي، الـ"snow white" تتحدث، تسأله، "ها.. مردتش عليا في الـ offer بتاع امبارح" يقول إن لديه اجتماع مهم الآن، ويغلق الخط.

يسأل نفسه، ويسأله صديقه، ما الذي يمنعك إذن من التقدم خطوة للأمام، يقول: "لا شيء"، يتمتم بكلمات غير مفهومة، يقول أشياء لا منطق لها، يسكت في النهاية، ويقرر عدم الرد على الهاتف أبدًا.

هل يخشى – لا سمح الله – أن يقع في معصية؟ هل يخاف الله؟ يعلم أن مسألة الخوف من المعصية لا تشغل باله؟ كما أنه غير متأكد من أن حديثه الإليكتروني مع هذه الفتاة في أمور تتعلق بإذا ما كان نام كويس، أو رأيه في هبوط المطر على المدينة يشكل أي "حرام".

لا علاقة للأمر بالخوف من العصيان، يتعلق إذن بالسيناريو الذي اختاره لنفسه منذ زمن، هو لا يحلم على الإطلاق بعلاقة ثنائية من هذا النوع، هو غير مستعد للتورط في علاقة تربطه بأنثى أخرى غير زوجته، هو لا يفضل أن يكون ظالمًا لأم مروان التي

أفقدها الكثير من بهجتها، وأعطاها الكثير من الكآبة والقلق والوزن الزائد بعد الولادة.

هو يحب أم مروان، هو يحترم الصدفة التي جمعته بها، هو فخور بأن زوجته لاحظت ضيقه ذلك الصباح فأرسلت في طلب السباك ليصلح الشطاف ودفعت مائة جنيه كاملة من مرتبها الشخصي.

تطارده الـ"snow white"، بدأ يحلم بها، بدأ يمارس الجنس معها في أحلامه، يمارس الجنس، لا الحب، الحب لأم مروان، والجنس لها، الحب للأرداف البدينة، والجنس للجيب المتدلية عن الركبة بقليل، الحب لفراش الزوجية، والجنس لقارعة الطريق.

تخبره أم مروان هذا الصباح أنها شاهدت You've Got Mail"، تسأله: شوفته؟

يخبرها بأنه أحد أفلامه المفضلة.. تسأله: "أنا نزلته من النت وجبت ترجمته، تيجي نشوفه سوا؟"، لا تنتظر منه إجابة، تشبك يدها في يده، تعلو ضحكة من مروان، يغلق هاتفه، ويستعد لمشاهدة فيلمه المفضل.

خلال المشاهدة، يدرك أن الأمر اختلط عليه، وأن زوجته لا تشبه خطيبه هانكس، هي في الحقيقة لديها خصر ميج ريان، وجزء من

ابتسامتها، كما أنها أصغر كثيرًا من ميج ريان، والأهم أنها تحبه، في حين أن ميج لا تفعل.

أشعر بالمـــوت ..

يقولون إن الميت يشعر قبل موته بأنه على وشك الرحيل، وإن إحساسًا بذلك يخترق قلبه، قبل رحيلة بأربعين ليلة كاملة، وإن تصرفات الراحلين كانت تنذر برحيلهم القريب، وإنها حكمة الله، أننا – الباقون على قيد الحياة – نتأمل تلك التصرفات بعد أن ندرك أنهم رحلوا بالفعل.. مكتفين بالبكاء والظهور بمظهر المتأثرين، قائلين: "كإنه كان حاسس إنه هيموت"..

وأنا، منذ أربعين ليلة وأكثر، أشعر بأني على وشك الرحيل..

بل أني أتأمل تصرفاتي بنفسي، فأعلم أني "كأني حاسس بالموت" لكني لم أبكِ بعد، ولا حتى اجتهدت في الظهور بمظهر المتأثر.

تبدو قضية موتي غير مهمة بالنسبة لي على الإطلاق، في الحقيقة، تكمن أهميتها الوحيدة في كونها توحي لي دائمًا بأفكار جميلة لقصص قصيرة، وتدفعني لكتابتها بسرعة، حتى لا أموت تاركًا تلك الأفكار دون أن يعلمها الناس.

إن كنت سأموت صغيرًا، كما توقع لي أبي ذات مرة مازحًا، وكما قالها لي أحد أصدقائي في ساعة لوم طويلة: "يا أخي أنت

هتموت صغير فعلًا، بس ده مش معناه أنك تبقى مستعجل قوي كدة"

إن كنت سأفعلها وتصدق توقعاتهم لي فعلًا، فلأفعل في حياتي القصيرة ما يغنيني عن طولها، أكتب القصص القصيرة، وأقابل هؤلاء الذين يفترض بي أن أقابلهم في وقت لاحق، ولأفعل الأشياء التي تليق بمن هم أكبر سنًا، ولأصالح نفسي على نفسي، ولأبصق على كل الوعود المستقبلية، التي منحتها لنفسي، أو التي منحها لي الآخرون، أو التي منحتها لهم، ولأعتذر لله عن كل الأشياء الشريرة التي فعلتها من قبل، والتي ربما أفعلها إن كان في عمري بقية تسمح لي بفعلها.

أخبركم أولًا كيف أشعر بالموت.. وكيف أتعامل معه..

هو – الموت – يرقد بجواري الآن، نائم على سرير رائحته نتنة، "متكلفت" ببطانية لم يغسلها أحد أبدًا، مبديًا استياءه البالغ من البرد و"السقعة" ومن عدم وجود سكر في المطبخ يكفي لعمل "كوباية" شاي تجلب له ولي بعض الدفء، حيث إننا سـ"نخمس" معًا في تلك "الكوباية"

الموت لا رائحة له كما يقولون، ولا صوت، الموت له ملمس، له ضغطة على القلب، له إحساس عند أطراف أصابع قدميك، حيث

تبرد أطرافك فجأة، وينسحب قلبك للداخل، وتشعر بسخونة أذنيك، تعلم وقتها أنه حولك، وأنه سيظهر لك بعد قليل، كما ظهر لك في المرة الأولى.

تسمع صوت القرآن، [والتفت الساق بالساق، إلى ربك يومئذ المساق، فلا صدق ولا صلى، ولكن كذب وتولى، ثم ذهب إلى أهله يتمطى، أولى لك فأولى، ثم أولى لك فأولى، أيحسب الإنسان أن يترك سدى، ألم يك نطفة من مني يمنى، ثم كان علقة فخلق فسوى، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى، أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى].. تردد بصوت خفيض.. "بلى قادر ثم تستعد لاستقباله.

أنا أقرأ الآيات السابقة في كل صلاة جماعة أكون الإمام فيها، حفظتها من المرة الأولى التي سمعتها فيها، كنا في رمضان، ساعة الفطار، وكان المسجد المجاور لمنزلنا يقيم صلاة المغرب، وصلى الإمام بتلك الآيات، وسمعها أبي فأبدى رفضه لذلك، قال إن تلك الآيات ليست مناسبة لصلاة المغرب في رمضان، فهي تذكر بالموت، وساعة الإفطار ساعة حياة، وأنا أحب وجهة أبي تلك، وإن كنت أشعر بالموت دائمًا في رمضان في ساعات الفطار فقط.

ظهر الموت لي عدة مرات، لم يأتِني مرة واحدة، العلاقة بيننا قبل شهور لم تكن تسمح له بالرقود بجانبي، كان يكتفي بالتلويح لي من بعيد..

لوح لي ذات مرة، منذ خمس سنوات وأكثر، وأنا في "برج القانونين" بكورنيش المعادي، في زيارة عمل لرجل كنت أعمل معه وقتها، وبينما كنا نناقش تفاصيل موقعه الإليكتروني الذي اختارني مشرفًا له، سمعنا صرير عجلات سيارة حديثة، أنت تعلم أن السيارات القديمة لا تصدر مثل هذا الصرير، قام الرجل من على مكتبه، طل من الشباك خلفه، وتمتم بـ"لا إله إلا الله".. و"حسبي الله ونعم الوكيل"..

كأن شيئًا ما يناديني، تقدمت أنا الآخر من الشباك، ونظرت، ورأيت بالأسفل جثة شاب ترقد على جانب الطريق، غطاها أحدهم بغطاء سيارته، وعلى مقربة منه سيارة حديثة، وكان هو يقف بجوار الجثة، يلوح لي، يعلو صوته مناديًا: هل تراني؟ هل تعرفني؟ هل تقبل صداقتي؟..

بهدوء يلائم اللحظة، تركت مكاني، وعدت إلى مقعدي، مستكملًا كلامي مع الرجل عن موقعه الإليكتروني، الذي اختارني مشرفًا له..

عند مغادرتي "برج القانونين"، كانت الجثة قد اختفت، والسيارة الحديثة قد رحلت، وكان هو يستعد لركوب "ميكروباص" متجه إلى حلوان من الناحية المقابلة، وقد ابتسم لي عندما التقت عيوننا هو من شباك "ميكروباصه"، وأنا من شباك تاكسي قديم، متجه إلى الدقي، بينما كان هناك رجل عجوز يلمحنا نحن الاثنين، أنا والموت، ويستمر في عمله، حيث قرر غسل الرصيف بالماء، منظفًا إياه من دم الشاب الميت.

ثم لوح لي مرة أخرى، حين أتاني مع "عمرو عبد الناصر
كان عمرو هو الآخر يدري أنه على وشك الرحيل، وقد رحل بالفعل بعد لقاء جمعنا أخيرًا بمدة قصيرة..
وقتها كنت أنا أبدأ دراستي في قنا، وكان فريق المسرح الذي أسسناه في مدرسة "كرداسة الثانوية المشتركة" مستمر في العمل، وفي المسرحية التي عرضت ذلك العام، والتي لم أتمكن من حضورها لأنني كنت هناك في قنا أؤدي امتحانات رسبت فيها بعد ذلك، في تلك المسرحية وقف عمرو قبلها يقدم أبطال العمل ويصنع إهداءً لهؤلاء الذين يستحقون، وكنت أنا منهم.

عندما أبلغني "عبادة" أخي بما فعله عمرو، امتلكنتي الحيرة، فعلاقتي بعمرو لم تكن أبدًا جيدة، بحيث يعتبرني هو شخصًا أستحق أن يصنع لي إهداءً يليق.

في إجازتي القصيرة في كرادسة، قابلت عمرو، كان هو يركب دراجته، ويرتدي بنطلونًا جميلًا، طالما تمنيت ان يهبني الله رشاقة عمرو لأرتدي بطلونًا يشبه بطلوناته، نزل عمرو من على دراجته، تقدم مني، قبلني، شكرته في خجل عما فعله في عرض المسرحية، أطرق هو قليلًا، ثم قال: "عارف.. أنا عمري ما قلت لحد كده.. بس هقولهالك أنت.. سامحني لم أكن وقتها أعلم على ماذا أسامحه بالضبط، ربما كان يقصد علاقتنا المتوترة ككل، فهو لم يصنع شيئًا يؤذيني أبدًا، ولا أنا فعلت.

ثم تركني عمرو ومضى على دراجته.. وكان الموت يلوح لي من المقعد الخلفي للدراجة.. حيث لف ذراعه على خصر عمرو.. ويبدو أنهما صارا أصدقاء بما يكفي.. فقد رحل عمرو بعد تلك المقابلة بأسابيع، غرقًا في الإسكندرية.. عند "بير مسعود"..

توطدت علاقتي بالموت أكثر في جنازة عمرو ولحظة دفنه، حيث أطلت النظر إلى قبره خاويًا، وبالتحديد إلى المساحة الصغيرة التي

سيشغلها جسده بعد دقائق، فقد وصلت إلى قبر عمرو قبل وصول عمرو نفسه..

بكيت ليلتها كما لم أبكِ من قبل، وجلست أنا و"عبادة" طول الليلة نحاول النوم دون جدوى، تم دفن عمرو في الحادية عشر ليلًا، وكنت على موعد مع السفر إلى الإسكندرية فجر اليوم التالي لإنجاز بعض الأعمال لأبي، وقد ركبت بجوار السائق، دافعًا أجرة "نفرين".. فقد كان "هو – الموت – يشغل المقعد المجاور..

وصلت الإسكندرية، وأنجزت أعمال أبي بسرعة، ثم انطلقت إلى "بير مسعود"، أنا وهو، وقفنا على الشاطئ، وشرح لي هو كيف رحل عمرو، وكيف شعر وهو يرحل، وطبطب على كتفي، وجفف دموعي، وتلقى عزائي في صديقي، وتسبب ذلك في تأخري بحيث لم أستطع العودة للقاهرة في مساء اليوم نفسه، وبقيت لليوم التالي، وهكذا تغيبت عن عزاء عمرو، وقد كنت الوحيد من طلاب مدرسة كرداسة الثانوية المشتركة الذي فعل ذلك وتغيب.

على شاطئ "بير مسعود كانت المرة الوحيدة التي أتحدث فيها معه.. وقد عرفته صديقًا مخلصًا بعد ذلك، يعرف كيف يريح ذراعه على كتفي دون أن يشعرني بالحرج، ويعرف كيف

"يطبطب" علي دون أن تتسبب طبطبته في بكائي، فهو يعرف أن "الطبطبة" تقودني إلى البكاء مباشرة..

وبالطبع فقد صرت أشعر بالموت في كل مرة أنزل فيها إلى البحر.

ثم احتضنني عند رحيل "محمود"..

ومحمود قريب لي، كان ضابطًا صغيرًا، توفى في العريش في حادث انقلاب سيارة كان يستقلها في طريقه لأداء مهمة عمل..

لحظة دفن محمود، كنت أنا أقف بجوار السيارة، أنظر للصندوق في احترام، وأخاف أن يفعلها أحدهم ويقرر فتح الصندوق أمامي، وقد جائنا صوت من الداخل، بأن "هاتوا الأمانة".. وهو يقصد جثة محمود.. وقد شعر الرجال الواقفين حول الصندوق بخوفي، فقرروا فتحه في الداخل، ومنعني الزحام من رؤية جسد محمود ووداعه.. لكن يد الموت كانت لا تزال تربت على كتفي.. وكان يهمس لي في أذني بأني قد صرت منذ اللحظة "أمانة".. في انتظار أن يناديها أحدهم قائلًا.. "هاتوها"..

لم يكن محمود قريب مني، فهو أكبر بسنوات لا تسمح بوجود علاقة صداقة قوية، لكنه شرح لي ذات مرة وأنا صغير معنى كلمة "تِتْمَشَّى"..

كان هو مع فتاة قريبة لنا يستعدان للخروج، وقد أبديت فضولي لمعرفة المكان الذي يقصدانه، فقال هو: "أبدًا.. هنتمشى شوية".. ولأني طفل صغير وقتها سألته "يعني نتمشى؟".. فقال هو بابتسامة: "نتمشى يعني نمشي وإحنا بنحك رجلينا في الأرض كدة" وحك قدميه في الأرض بشكل جميل، ومن وقتها وأنا أحب التمشية وحدي، لكني أكره أن أسمع صوت أحدهم يتمشى..

بمناسبة الصوت، جعلني صديقي الموت، أكره بعض الأصوات.. منها مثلًا، صوت "قزقزة" اللب.

فأنا عندما أسافر بخيالي، لتلك اللحظة التي أرقد فيها داخل كفن أبيض برائحة المسك، أجدني أسمع صوت "القزقزة"، حيث إن هناك غفيرًا يجلس خارج المقبرة، أمامه نار مشتعلة، ومنشغلًا بقزقزة اللب على راحته، فليس حوله إلا الأموات، وإن كان يعلم تمام العلم أن الأموات قادرين على سماع صوت القزقزة.. وأن الصوت يزعجهم بما فيه الكفاية، لكنه لا يتوقف عن القزقزة أبدًا، في كل ليلة يجلب معه "تُمْن أبيض وتُمْن سوبر ويبدأ في ممارسة عمله بمنتهى الحماس.

كلما سمعت أحدهم يقزقز، تذكرت الغفير، وشعرت بأنني ميت بالفعل، وأنا منذ الآن، أقول لكم بأني لا أحب هذا الغفير، كما

أني لا أحب الفكرة أصلًا.. ما معنى أن تفقد حياة رجل معناها حيث تضيع كلها في حراسة أموات، من يطمع في الميت، وما الذي يضر الميت إن طمع فيه أحدهم..

لا تضعوا عند قبري غفيرًا، وإن كان هذا شرطًا من شروط موتي، فأجبروه على الامتناع عن القزقزة..

ثم لوح لي مرة أخرى، بل مرات عديدة، في كل يوم أذهب فيه إلى المعادي وأمر الطريق إلى برج القانونين.. وقد أصبحت أفعل ذلك كثيرًا الآن..

هو لا يكتفي بالتلويح، بل يمسك يدي مساعدًا إياي على المرور، مبتسمًا ابتسامة واسعة، فهو يذكرني بالمرة الأولى التي التقينا بها..

ويلوح لي في كل مرة أشعر فيها بأن أحدهم ظلمني، يقول لي هامسًا في أذني: "ولا يهمك، بكرة لما نمشي أنا وأنت، هيعرف قيمتك كويس.. وهيبكي قوي على ظلمه ليك".. وكم تصبرني كلماته.

ويلوح لي في كل مرة أظلم فيها أحدهم، قائلًا إن الوقت أصبح ضيقًا بحيث أني لن أستطيع إنصاف المظلوم مرة أخرى، وأنه "كفاية كدة.. إحنا خلاص قربنا نمشي

كل هذه اللحظات، يكتفي بالتلويح لي من بعيد أو من قريب.. لكنه في أوقات أخرى، يجلس معي جلسات طويلة، يناقشني ويجادلني، ويستمع إلى أسئلتي الكثيرة، رافضًا الإجابة.

اسأله، لماذا أشعر أنني سأرحل الآن.. أو حتى في القريب..

لماذا اختفى شعوري السابق بأن الله سيمد في عمري، لماذا اختفى حلمي القديم بأن أعيش أكثر مما عاش "نجيب محفوظ" وأن أؤلف مائة رواية، وأكتب ألف فيلم، وأخرج عشرة، وأصنع مليون قصة قصيرة تليق بـ"معمِّر مثلي.

لماذا أخاف من لحظة حضور ابنتي إلى الحياة؟ لماذا يظهر وجه "خالو باهي في كل مرة أتخيل فيها حضور ابنتي التي لم أختر لها اسمًا حتى الآن؟

رحل "خالو باهي منذ عشر سنوات، بالتحديد يوم احتفال العائلة بسبوع حفيدة صغيرة لا أعرف اسمها، كان الاحتفال مساء الخميس، في اللقاء الأسبوعي للعائلة، قبَّلني خالو باهي وأعطاني "خمسين قرش جديدة، من "فلوس العيد".. تلك التي تشعر أن

عليك الاحتفاظ بها وعدم صرفها لكونها نظيفة جدًا مقارنة بباقي لفلوس.

نزلت يومها إلى دكان "بخيت" أشتري شيبسي، ورحلنا بعد سهرة طويلة كل إلى بيته، وبعد صلاة الجمعة، كنت أستعد لصعود السلم، حين رأيت أبي يركض خارجًا من بيت جدي في شارع الخلفاوي بشبرا.. قائلًا: "خالو باهي.. في المستشفى كان "خالو باهي هو خال أبي وليس خالي، وهو ما يجعله "جدو لكني كنت أنادي الناس بما يناديهم به أبي.

وكان "خالو يجلس صباح الجمعة ذاتها في منزله بعابدين، فسقط فجأة من الشرفة، ليسقط على رأسه، ويغادر الحياة من المستشفى.. ويتسبب في ألم كبير لكل أطفال العائلة، الذين اعتادوا أن يأخذوا منه قبلة مساء كل خميس، وخمسين قرشًا من "بتوع العيد"..

كان ألمي مضاعفًا، فقد تسبب رحيل "خالو باهي في امتناع جدتي التي هي أخته عن طبخ "الفولية"، فقد كانت الوجبة المفضلة لأخيها الصغير، كما كانت وجبتي المفضلة أيضًا..

امتناع جدتي جاء حدادًا على روح خالو، ومنذ رحيله وأنا أيضًا لم أذق الفوليلة، فلا أمي ولا زوجتي يتقن صنعها.

قالت جدتي، أنها حكمة الله، أن يرحل "خالو باهي" صبيحة احتفالنا بميلاد طفلة جديدة، ومن تلك اللحظة أخاف من لحظات ميلاد الأطفال، وأشعر أنها علامة رحيل لأحدهم، وبالتحديد أنا.

هذا طبعًا بعيدًا عن الرجفة التي تصيبني مع كل مرة أسمع فيها آية قرآنية تقول: "وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافًا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولًا سديدا" أخبرني بها صديقي، متحدثًا عن أولاده.. وكم كان هذا موحيًا..

ثم لماذا شعرت بقرب الرحيل ليلة زفافي، أنا أتفهم أن أشعر بالموت في كل اللحظات السابقة، لكن أن أشعر ليلة زفافي هي الأخيرة لي في هذه الدنيا، فهو شعور غير ملائم في لحظة يفترض أن تملاءها مشاعر من نوع آخر.. لكني شعرت بما شعرت.. وقد كان شعورًا فقط، حيث لا زلت أحيا حتى الآن..

أعتقد أنني أعرف لماذا شعرت بذلك ليلة زفافي، أفكر الآن أنني اعتدت الشعور بالموت في نهاية كل مرحلة في حياتي، وفي بداية كل مرحلة..

أنا الآن أشعـر بالموت ..

لعلك تقول إنني شخص عادي تمامًا، أشعر بالموت عند الاقتراب من الموت، بمعنى أن أتخيل نفسي ميتًا في كل مرة أقترب فيها من ميت آخر غيري.. لكني أشعر بالموت الآن دون وجود ميت غيري..

أشعر بالموت عند الاقتراب من الحياة، لم أخبركم بأن الموت يلوح لي في كليبات هيفاء وهبي، وفي أفلام الجنس على الإنترنت، وفي المكالمات الهامسة القديمة التي طالما سهرت بها ليالي، وفي أول مرة عرفت العادة السرية، وفي قبلتي الأولى المسروقة على كورنيش النيل.

في هذا الوقت الذي أكتب فيه هذه السطور، أبدو غير مهتمًا بما سيحدث بعد قليل، معلنًا امتناني لكل هؤلاء الذين قابلتهم في حياتي الطويلة جدًا بحيث مللتها، ومتمنيًا لقاء آخر في حياة جديدة.

أشكر الله على كل ما منحني إياه في السنوات السابقة، أشكره بكل صدق، الله يعلم أنني صادق، يعلم أنني لم أكذب عليه من قبل، يعلم أن ذنوبي من نوعين لا ثالث لهما، لكنها كثيرة، ذنوب كثيرة من نوعين، يقولون أن الله يكره الذنوب المكررة، وذنوبي كلها

كذلك.. لكن الله سيغفر لي، فأنا استأذنه أن أتوب الآن بسرعة، قبل أن أذهب إليه، استأذنه في أن يقابلني بعد قليل، بعد أن أمتنع عن كل ما يغضبه، وبعد أن أصلي له قليلًا، وحدي، دون أن يكون حولي أي بشر.

أشكر الله أنه منحني الإيمان به، صرت الآن أؤمن بالله أكثر مما أؤمن بأشيائي السابقة، ذات مرة سألني صديق عن إيماني، فأخبرته بأني أشعر بأن الله يرضى عني، وأنه يرضيني كذلك، فأخبرني بأن لا علاقة لهذا بالإيمان، وأدركت أنني يومها كنت أحدثه عن الاطمئنان، أما الإيمان، فيبدأ في قلبي الآن، وأشهدكم أني صرت مؤمنًا بالله، وبما يختاره لي، منذ اللحظة.

أشكر الله أن عددًا قليلًا من البشر رحل عن الدنيا أثناء حياتي السابقة، على الأقل هؤلاء الذين حضرت أيامهم الأخيرة، حين كانوا يشعرون جميعًا بدنو الأجل، كما أشعر أنا الآن.

أشكر الله على أصدقائي الذين ظهروا في حياتي بمشيئته، كل البشر الذين صادقتهم، وأشكره بشكل خاص على صديقي الذي يرقد بجواري الآن.. الموت.. الذي اعتاد التلويح لي في مواقف ذكرتها منذ قليل، واعتاد النوم إلى جواري، متكلفت بالبطانية،

ومبديًا استياءه من السقعة.. ومن عدم وجود سكر في المطبخ لصنع كوباية شاي.. نخمس فيها معًا.

أشكر الله أنه أكسبني صداقة الموت، وأبعدني عن كراهيته وعداوته، مع أن شخص مثلي كان مؤهلًا لأن يكون عدوًا للموت.. بدين، وأبيض البشرة، كما أنه قبل هذا يحب الحياة، وإن كان حبًا عذريًا.

هو يقول دائمًا لنفسه إن حب الحياة لا بد أن يبقى عذريًا، لا جنس فيه ولا مضاجعة، وأن مصاحبة الموت، جزء من حب الحياة، على أن يبقى ما بينك وبين الحب مجرد صحوبية، لا ترقى أبدًا لدرجة التمني، فأنت تصاحب الموت ولا تتمناه، تصاحبه لأنه جزء من حياتك، وتسأل الله أن يفرق بينك وبينه طالما كان ذلك ممكنًا، وأن يقرب بينك وبينه، طالما أن وقته قد حان.

السطور السابقة ليست أي شيء..

هي فقط سطوري التي أكتبها الآن، مجردة من أي غرض، فقط دعوة إلى الله أن يمنحني بعض الوقت..

عن الكتابة، والعطف على الكلاب

الكتابة إخلاص. وعلي أن أعترف أني لست مخلصاً لكتابتي بأي حال.

قد أكون مخلصاً لما أقرأ، لكن أبداً لم تنل الكتابة مني اهتمام قد أعطيه لغيرها من الأمور، العمل، الحب، تربية الطفلة الصغيرة، الرغبة الدائمة في الراحة أو المرح، والتعلق بالتسكع المستمر في الشوارع والمقاهي والطرقات.

من أين يأتي الإخلاص حتى؟، يعني، من غير المتوقع أن يكون الإخلاص حاضراً في علاقة كاتب بما يكتب، لو علمنا أن هذا الكاتب عرف كتابته صدفة، وأنه يلاقيها على صفحات مدونته، وفي المساحة المخصصة لـ"ملاحظات" على موقع "فيس بوك".

الطريقة الكلاسيكية القديمة للكتابة، تلك التي تتكون عادة من ورقة وقلم وأجواء ملاءمة، وساعة حظ... ورق أبيض وقلم بالحبر السائل، أو قلم الرصاص بالسن الحاد، إلى ما قاله الكتاب الأكبر سناً والأعمق تجربة.. تلك طريقة لم أعرفها.. لم أسمع صوت قلمي يجرح بياض الورقة، سمعت صوت أصابعي تدق على لوحة المفاتيح، تكتب بخط جيد، للأسف، لا توجد في الكومبيوتر خطوطاً سيئة.

في مرات أسأل نفسي، أنا أكتب؟، أم برنامج تحويل النقرات إلى حروف وجمل؟، أنا أكتب أم الكومبيوتر، أنا أكتب أم مخترع الشاشة والفأرة والطابعة والأجهزة المحمولة، أنا أكتب عن طريق الأجهزة، أم أنها تكتب خلالي؟.

الكتابة إخلاص، وأنا بشكل عام لا أعرف الإخلاص لشيء. أخلص للأشياء التي يبدو الإخلاص لها هو ذروة اللاإخلاص، على إطلاقه. أخلص للملل، أخلص للسرعة، أخلص للحركة، أخلص للضوضاء، أخلص للخوف من الوحدة..

والكتابة، في تقديري الصغير البسيط الفقير الضعيف، هي مجرد وسيلة لأن أبقى مخلصاً أكثر للأشياء التي أجيد الإخلاص لها، أكتب لأكسر الملل، وأزيد السرعة، وأضيف ضوضاءاً جديدة لضوضاء العالم من حولي، أكتب لأطمئن نفسي، لست وحدي، لست وحدي.

لماذا أكتب إذن؟، ربما لأني أحب أن أأسى على حالي، هذه حقيقة، أريد أن أحكي للأصدقاء على المقهى حكايات مؤسفة، حول حلمي الذي لا تسمح لي الظروف بفرصة تحقيقه، لأبدو رومانسياً في نظر فتيات يعرفوني للمرة الأولى، ولأن شكلي من بعيد، ومن قريب أيضاً، يبدو منفراً، بسبب البدانة وسوء تناسق

الكتل، وطريقتي في تسريح شعري وترك ذقني دون حلاقة، فإن فكرة أنني كاتب مغمور تجعلهن يتناسين مظهري، ويقلن "يا له من حظ عاثر أودى بهذا الشاب إلى غير مكانه، لعله كان الآن كاتباً، يكتب في مكان ما، أشياء – قد – تستحق القراءة".

وأكتب لأني أكتب، الكتابة للذين عرفوها – دون أن يخلصوا لها – عبارة عن مرض مزمن لا شفاء منه إلا بالكتابة ذاتها، تأتي الفكرة، تزيد من حرارة جسدك، تتعرق بسببها، ثم تجمع ما تجده بين جنبات نفسك من شجاعة، تواجه شاشة جهازك، وتشعر أنك في مواجهة مباشرة مع العالم، وتراها مهمة مقدسة، أن تكتب، وأن تطلب من الآخرين أن يقرأوا، إذا ما سمحت لهم الظروف.

أكتب لأحافظ على ذاكرتي، أخاف من النسيان على نفسي، أخشى أن تطير التفاصيل من رأسي، فأذهب للأصدقاء، طالباً منهم أن يقصوا علي من أمري ما نسيت، ولأن فكرة الإخلاص سخيفة، وقد منعت نفسي منها لأطول وقت ممكن، فسيكون من الغباء تخيل أن الأصدقاء سيستجيبون لرجائي، ويرون علي ما نسيت، وإن كنت نسيت، فقد انتسيت، كما تقول أغنية شهيرة، وأنا أكره فكرة أن أعيش عالة على ما يتذكره الأصدقاء عني، أكرم من ذلك أن أعيش أنا على ما أتذكره من أمر نفسي.. الكتابة إذن، في

جانب من جوانبها مسألة كرامة، محاولة للعيش بكرامة، وعادة ذميمة، أن تفقد كرامتك باستمرار أمام الورق الأبيض الذي تجد نفسك – مكرهاً – مأموراً بكسر بياضه، والكتابة عليه.

أكتب لأجل الكتابة، مجرد محاولة للإجابة على سؤال واحد متكرر، واجه معظم من كتبوا، حول ماهية الفعل الذي يمارسونه دون إرادة حرة..

في مقدمة كتابها "مفاوضات مع الموتى.. تأملات كاتب حول الكتابة"، تقول "مارجريت أتوود" وهي تصف موضوع كتابها "عن الكتابة، مع أنه ليس عن كيفية الكتابة.. وهو أيضاً ليس عن كتابة شخص بعينه أو عصر محدد أو بلد دون آخر.. إنه عن الموقف الذي يجد الكاتب نفسه فيه، أو الموقف الذي تجد الكاتبة نفسها فيه، والذي قلما يختلف من كاتب إلى آخر، وما هي هذه الكتابة، بحال من الأحوال، هل هي نشاط إنساني، أم أنها تكليف إلهي، أم هي مهنة، أم عمل مضجر نؤديه من أجل المال، أو لعلها فن، ولماذا يشعر كثير من الناس أنهم مجبرون على آدائها؟".

وفي مكان آخر داخل الكتاب، فإنها تضع قاعدة هامة، تقول "عطفك على الكلاب لن يجعل منك كاتباً جيداً، الكتابة تصنعها

الكتابة، لا شيء آخر وفي الواقع، فإني لا أجيد العطف على الكلاب، بل أني لا أحبها أساساً، لكني قد أفعل ما هو أعقد من العطف فقط لأهرب من ساعة مواجهة الفراغ الأبيض ببرنامج الكتابة على الكومبيوتر، حين تزداد حرارتي، وأتعرق، مستعداً لساعة سحب الحروف والكلمات من داخل روحي، والبدء في النقر المستمر.

وأصارحك، تبدو لحظة بداية الكتابة هي أسهل ما في الأمر، لك أن تتخيل المرات العديدة التي أتوقفها أثناء كتابة فقرة واحدة، أو لتكوين جملة معقدة، أو وصف مشهد معين، هذا أيضاً قد يبدو سهلاً، مقارنة باللحظة الأكثر صعوبة، لحظة التوقف عن الكتابة، أو الوصول لقرار أنه من الأفضل أن يتوقف الأمر عند هذه النقطة، وأن هذه كتابة تبدو جيدة، ولا داعي لمزيد من الأسطر والفقرات وجمل الوصف، أو أنها سيئة لدرجة، أنه من الأفضل ألا أستمر بها.

في مرات، بعد أن أنتهي، أفكر في "مارجريت أتوود"، وأود أن أقابلها شخصياً، لأخبرها أن العطف على الكلاب أسهل – ألف مرة – من الكتابة الجيدة.

لن تغضب الكلاب إن عطفت عليها دون إخلاص حقيقي، على أن الكتابة تفعل.

يمكنني العطف على الكلاب في أي وقت، لكن هذا غير ممكن مع الكتابة.

يمكنني نسيان أمر الكلاب، لكن الكتابة لا تسمح بنسيانها.

الكلاب يمكنها أن تعض، وقد تؤدي بعض العضات إلى الموت، لكن عضة الكتابة لا تقتل، تصيبك فقط بجرح غائر في روحك، ويا له من ألم.

لا يمكن العطف على الكلاب عبر الكومبيوتر، لكن يمكن الكتابة عليه.

الكلاب تنبح، والكتابة تجعلك بحاجة لمن يعطف عليك.

إن عطفت على الكلاب بطريقة رديئة، لن يلومك أحدهم، إن كتبت بطريقة رديئة، فإن أحداً لن يهتم بالعطف عليك.

نيـــون
(نهاية منطقية لقصص لم تكن طويلة)

بجوار المقهى الذي جلست عليه أفكر في **بدايات ونهايات لقصص لم أكتبها بعد**، يوجد دكان صغير، به رجل عجوز لا يزال محتفظًا بالجزء الأكبر من صحته، اسمه محمد، أو هكذا سميته أنا، وهو متخصص في تجميع التحف القديمة والصحف، وأشياء من التي ظهرت فجأة واختفت فجأة، لعلك تعرفه، أو قابلت يومًا رجلًا يعمل في المهنة ذاتها.. دعني لا أطيل عليك إذن، اقتربنا من النهاية، و**أنت بحاجة لطي الصفحة الأخيرة في هذا الكتاب المريك المرتبك**.

كنت أصنع أفلامًا وثائقية قصيرة، ورأيت ذات مرة أن الرجل يصلح بطلًا لفيلم قوي، ذهبت إليه، شربنا الشاي، تحدثنا، ثم نظر إلى أعلى، إلى حيث لمبة صفراء كبيرة مضاءة، وقال، "**المشكلة مش فيا..** لم أفهم، فلم يأت ذكر أية مشاكل.. كرر جملته مرة أخرى، وسحب ما تبقى من شاي في الكوب الصغير إلى فمه، ثم قال: **لما أموت، مراتي وبنتي هيبيعوا كل حاجة لبتاع روبابيكيا جاهل، وهيشيلوا اللمض الصفرا من البيت.. ويركّبوا لمض نيون.. وأنا مكرهتش في حياتي قد اللمبة النيون .**

رحلت عنه، وقد قررت أن الفيلم بحاجة لمزيد من التطوير، وشغلتني مسألة اللمبة النيون تلك، بحيث فكرت بعد ذلك، أنها نهاية منطقية لقصة لم تكن طويلة، ودونت في دفتري، أن ما حدث يستحق أن يكتب يومًا، **في نهاية كتابي الأول، الذي لا أنصح بقراءته في إضاءة النيون، أو المصابيح الموفِّرة السخيفة في الحياة سخافات تكفي، بحيث نراها في ضوء أصفر.**

سيـرة زيتيـــة

(كتبها صاحبها وهو يأكل طعمية بزيت منتهي الصلاحية)

- نشأ دون أن يترعرع - في عدة مناطق مختلفة من القاهرة، وينتظر ظروفًا سياسية ملائمة حتى يبدأ في الترعرع، حيث يعتقد أن الأمور الآن غير مناسبة لأي رعرعة.
- في البطاقة ذكر، وعلى الأرض سبع الرجال، وتعتقد الدولة أنه مولود في ٢٢- ٨ - ١٩٨٥
- سافر إلى الخارج - خارج القاهرة - للدراسة، وحصل على ليسانس الآداب من جامعة جنوب الوادي بولاية قنا الجنوبية، وكان يعتقد أنه سافر لتحصيل العلم، لكن هذا لم يحدث، واكتفى بتأليف بعض القصص خلال فترة دراسته.
- له من المدونات واحدة هي "وأنا مالي"، ومن البنات واحدة هي "مليكة"، ومن الزوجات واحدة وهي "دعاء"، ويعتقد أن البحر يحب الزيادة.
- يعمل في مجال الإنتاج التليفزيوني، وقد أخرج عددًا من الأفلام الوثائقية، حيث لا يزال معتقدًا في مسألة أن صناعة الأفلام الوثائقية أهم من تصنيع القنبلة النووية.
- يقرأ ويكتب بانتظام، وله تحت الطبع مجموعة قصصية باسم "حد جميل" ويعتقد أن البعض قد يهتم بقراءتها.
- يؤمن بالحرية والرحمة، ويعتقد أن التواصل عبر الإيميل حق مكفول للجميع: baraa.ashraf@gmail.com

هذا ليس كتاباً للطبخ، هذا ليس كتاباً للتخسيس، ليس كتاباً دينياً، هذا ليس كتاباً عنكم، هذا ليس كتاباً عن نفسي، هذه كتابة ضارة بالصحة، وتسبب الوفاة، لأن كل الأشياء يمكن أن تسبب الوفاة.

هذا ليس كتاباً خارجياً، فالكتب الخارجية ممنوعة، كما أنه ليس داخلياً، للكتابة الداخلية أصحابها، هذا ليس كتاباً عن أحد، ليست كتابة عن أشياء، لا تستحق أن يكتب عنها.

هذا ليس كتاباً.. هذا أنا.

البدين

يمكنك شراء جميع إصداراتنا عبر موقع دار الكتب الإلكتروني

www.daralkotob.com

تصميم الغلاف أحمد مراد